

روايات مصرية الحديث

رجل المستحيل

عملية النيل

125

د. نبيل فاروق

Looloo

www.dvd4arab.com

القائمين
المؤسسة العربية الحديثة

للتبليغ والنشر والتوزيع

10354M - FIFTH AVENUE - NY

10018 USA

١- الأب والابن ..

« السادة ركاب طائرة (مصر) للطيران .. الرحلة رقم (...) تستعد للهبوط الآن ، فى مطار (جى . إف . كيه) فى (نيويورك) .. قائد الطائرة وطاقمها يهنئونكم بسلامة الوصول ، برجاء ربط الأحزمة ، والامتناع عن التدخين .. الساعة الآن الثانية وسبع دقائق ظهراً ، حسب التوقيت المحلى ، ودرجة الحرارة سبع وعشرون درجة مئوية .. »

أسبلت (جيهان) جفنيها فى استرخاء ، وهى ترتبط حزام مقعدها ، وترسم على شفتيها ابتسامة ، بدت على الرغم منها عصبية متوترة ، وهى تسترجع فى ذهنها ما أصابها، فى صراعها الأخير مع السنيورا^(*) ، وتمزج هذه الذكرى بالأمل ، الذى بعثه (أدهم) فى أعماقها ، عندما قرّر أن يجرى لها عملية جديدة للغاية ، على نفقة مؤسسة (أميجو) ، لإعادة قدرتها على السير^(**) .

(*) راجع قصة (عمالقة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧)

(**) راجع قصة (اللمسة الأخيرة) .. المغامرة رقم (١٢٤)

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة . لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

كانت تشعر تجاهه بامتنان لا محدود ، بعد مبادرته
النبيلة ، التي انتزعتها من صحراء اليأس ، وأحاطتها
بأمل جديد ، أنعش في قلبها الرغبة في الحياة مرة
أخرى ..

« حمدًا لله على السلامة .. »

همس بها رجل المخابرات المصري المرافق لها ،
بابتسامة هادئة حانية ، فانتزعها من أفكارها ،
وجعلها تفتح عينيها ، متممة :

- هل هبطت الطائرة !؟

أوما برأسه إيجابًا ، فغمغمت ، وهي تحل حزام
مقعدا :

- يا له من طيار بارع !

لم تكن تشعر بالارتياح ، وهم ينقلونها على مقعد
متحرك ، عبر مخرج خاص بالمعوقين ، فأشاحت
بوجهها ؛ لتتفادى نظرات الركاب، وقالت في عصبية :
- إننى أمقت هذا المقعد .

دفعها رجل المخابرات أمامه ، وهو يقول في هدوء :

- سنعود بدونه بإذن الله .

هتفت :

- يا رب .

وأغلقت عينيها مرة أخرى ، وكأنما تفر من نظرات
التساؤل والفضول ، وهما يتجاوزان الدائرة الجمركية،
ويغادران مبنى المطار ، و ..

« السيدة (جيهان) !؟ »

اخترق السؤال أذنيها ، بلغة إنجليزية ، ولهجة
جنوبية واضحة ، فرفعت عينيها إلى صاحبه الذي بدا
هادئًا مبتسمًا ، وهو يكرر :

- أنت السيدة (جيهان) أليس كذلك !؟

أجابه رجل المخابرات :

- بلى .. من أنت بالضبط !؟

أبرز الرجل هويته ، قائلاً :

- (مكارثى) .. مندوب قسم العلاقات العامة ،
بمؤسسة (أميجو) للإليكترونيات .. مرحبًا بكما فى
(نيويورك) .. أنا هنا بتكليف من سنيور (أميجو)
شخصيًا ، ومهمتى أن أيسر لكما كل سبل الإقامة
والعيش ، وأن أعمل على توفير جناح مناسب
بالمستشفى ، لإجراء عملية الزرع .

سألته (جيهان) بلهفة :

- هل سنيور (أميجو) هنا !؟

ظلَّ الرجل محافظاً على ابتسامته ، وهو يهزُّ رأسه
نفياً ، قائلاً :

- كلاً يا سيدي .. من النادر أن يأتي سنيور
(أميجو) بنفسه إلى هنا .

لقد تلقينا أوامره عن طريق قناة (انترنت)
خاصة (*) .

غمغمت في إحباط واضح :

- آه .. فهمت .

هزَّ الرجل رأسه ، وكأنما يعلن تفهمه للموقف ، ثم
أشار بيده ، قائلاً :

- مرحباً بكما مرة أخرى في (نيويورك) .

(*) الانترنت : اختصار لكلمة (International network) ،
أو الشبكة العالمية ، ولقد بدأت شبكة المعلومات هذه كدائرة
اتصالات عسكرية سرية محدودة ، حتى أواخر الثمانينات ، عندما
تم تطويرها إلى دائرة معلومات جامعية ، ثم إلى شبكة معلومات
صناعية وعلمية ، ومع تطور أجهزة الكمبيوتر والاتصالات ،
تحولت شبكة (الانترنت) إلى شبكة معلومات واسعة بلا حدود ،
بحيث تغطي العالم أجمع ، وتحتوي ما يزيد على عشرين مليون
موقع ، تحوي مختلف المعارف والمعلومات .

وإثر إشارته ، اتجهت نحوهم سيارة (فان)
صغيرة ، وهبط منها رجلان في حماس واضح ،
وتعاوننا لدفع مقعد (جيهان) المتحرك داخلها ، في
حين تساعل رجل المخابرات المصري ، في شيء من
الحدر :

- ترى أين سنقيم بالضبط ، حتى يتحدد موعد
عملية الزرع !؟

لم تتغير ابتسامة الرجل ، وهو يتابع عملية نقل
(جيهان) ومقعدها إلى السيارة ، ويجيب في هدوء :
- الليلة فقط ستقيمان في (هيلتون) (مانهاتن) ،
أما غداً ..

ولم يستمع رجل المخابرات إلى باقى العبارة ..
شيء ما جذب انتباهه في شدة ، وجعل مشاعره
كلها تتجه نحوها دفعة واحدة ..

انتفاخ بسيط ، في الجانب الأيسر من سترة رجل
العلاقات العامة ..

انتفاخ لا يمكن أن يخطئه رجل أمن مدرب ..
وبحركة سريعة ، وقبل أن يتم الرجل عبارته ،
أمسك رجل المخابرات المصري ذراعه في قوة ، وهو
يتساعل في صرامة :

- قل لي يا هذا !؟ ما الذى يدفع مندوب العلاقات
عامة عادياً ، إلى حمل مسدس كبير كهذا !؟
انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، واختفت ابتسامته
دفعه واحدة ، وانقلبت سحنته على نحو عجيب ، وهو
يلتفت إلى رجل المخابرات فى حركة حادة ، فى حين
هتفت (جيهان) فى توتر :

- مسدس .

استدار إليها الرجل ، وهو يقول فى عصبية :

- إنها (نيويورك) يا سيدتى ، و ..

تحركت يد رجل المخابرات المصرى فى سرعة ،
لتلتقط المسدس من غمده ، المعلق تحت أبط الرجل ،
وهو يقول بنفس الصرامة :

- وماذا !؟

وهنا ، انقلب الموقف كله دفعة واحدة ..

فما إن انتزع رجل المخابرات المسدس ، حتى
انقض عليه مندوب العلاقات العامة الزائف ، فى
شراسة وحشية ، فى نفس اللحظة التى فوجئت فيها
(جيهان) بمنديل مبلل بسائل ذى رائحة نفاذة ، يكتم
أنفها وشمها فى عنف ..

ومن طرف عينيها ، شاهدت (جيهان) رجلين
آخرين ، ينقضان على زميلها من الخلف ، فى نفس
اللحظة التى لكم فيها المندوب الزائف فى
أنفه مباشرة ، ورأت أحدهما يهوى على مؤخرة رأسه
بهاوة قصيرة ثقيلة ، و ..

وعلى الرغم من مقاومتها المستميتة ، أظلمت
الدنيا أمام عينيها بغتة ..
وانتهى كل شيء ..

ومع سقوط رجل المخابرات المصرى أرضاً ، وثب
مهاجموه داخل (الفان) ، التى أطلقت إطاراتها
صريراً رهيباً ، وهى تنطلق مبتعدة بأقصى سرعتها ،
ورجال أمن المطار يعدون خلفها ، محاولين عبثاً
منعها من الفرار ..

ومن بعيد ، برزت يد أنثوية ذات قفاز حريرى
أسود ، من نافذة سيارة فاخرة ، ونفضت رماد
سيجارة طويلة رفيعة ، قبل أن تقول صاحبتهما فى
صوت واثق ، ولهجة تجمع بين الظفر والسخرية :

- عظيم .. كل شيء يسير على ما يرام .

قالتها ، وانطلقت من حلقها ضحكة ساخرة ، وهى

تلقي سيجارتها خارج النافذة ، وتشير إلى السائق ، الذي
انطلق بالسيارة وعيناه تتألقان في وحشية عجيبة ..
وحشية توحى بأن هذه السيارة تحمل الشر ..
كل الشر ..

* * *

انعقد حاجبا مديرة كلية (بن جوريون) للناشئين
في قلق حذر ، وهي تتطلع إلى الرجل الأشيب الشعر ،
الذي يقف أمامها هادئا رصينا قبل أن تميل نحوه ،
متسائلة في توتر :

- أدون (موراي) .. هل تدرك أن المعلومات التي
تطلبها خاصة للغاية ، ولا يجوز إطلاعك عليها ، طبقا
لقوانين التعليم في (إسرائيل) ؟ وباعتبارنا أفضل
كلية للناشئين في (تل أبيب) ، فلن يمكنني تلبية
مطلبك هذا ، مع خالص اعتذاري .

شد (أدهم) قامته ، وبدا واثقا قويا أمام المديرة ،
وهو يقول :

- أدرك هذا بالطبع يا سيدي ، ولكن للضرورة
أحكام كما يقولون .
سألته في عصبية :

- وأية ضرورة تلك ، التي تستدعي معرفة كل هذه
المعلومات ، عن أحد تلاميذنا !؟
أكسب (أدهم) صوته رنة خاصة ، توحى بخطورة
ما يقول ، وهو يميل نحو المديرة بدوره ، هامسا :
- ضرورة أمنية .

تراجعت المديرة كالمسوعة ، وهي تهتف :
- أمنية !؟

وبدا التوتر على سكرتيرتها الخاصة ، التي تقدمت
نحو (أدهم) ، قائلة :

- أدون (موراي) .. عندما سمحت لك المديرة بـ ...
قاطعها (أدهم) ، وهو يعتدل ، ويشير إليها إشارة
صارمة ، فتمتعت مرتبكة :

- أدون (موراي) .

أجابها (أدهم) في حزم :

- هل يمكنك تركنا وحدنا !؟

أطل شئ من الذعر ، من عيني المديرة ، في
حين هتفت السكرتيرة مستنكرة :

وحدكما !؟

وتحركت المديرة في عصبية ، نحو كومة الأزرار
على مكتبها ، وهي تقول :

- أدون (موراي) .. لقد تجاوزت كل ال ..
استدار إليها (أدهم) بحركة صارمة غاضبية ،
جعلتها تتراجع كالمصعوقة ، وتهتف في زعر بلا
حدود :

- الأمن .. أين رجال الأمن !؟

أجابها (أدهم) ، وهو يبرز بطاقة خاصة من جيبه :
- هنا يا سيدتي .

حدقت المديرية في تلك البطاقة بدهشة ، وانطلق
قلبها يخفق في عنف ..

فالبطاقة التي أمامها ، والتي تحمل نفس الصورة ،
التي تنكر فيها (أدهم) في إتقان ، كانت تحمل في
أعلىها حروفاً شهيرة للغاية ..

حروف اسم (الموساد) ..

جهاز المخابرات الإسرائيلي ..

وعلى الرغم من أن المديرية لم تكن قد رأت ، في
حياتها كلها ، بطاقة واحدة ، من تلك البطاقات غير

القابلة للتزوير ، التي يحملها رجال (الموساد)
شأنها شأن أي مواطن عادي ، إلا أن الاسم جعلها

تغمغم في انبهار :

- آه .. هي مسألة أمنية إذن !

أعاد (أدهم) البطاقة إلى جيبه ، قائلاً بابتسامة
رصينة :

- بالضبط .

تحركت السكرتيرة في عصبية ، وهي تقول :

- سيدتي .. هل ..

قاطعتها المديرية في حزم :

- اتركينا وحدنا .

انتفضت السكرتيرة في استنكار ، هاتفة :

- سيدتي ! ..

قاطعتها المديرية في صرامة :

- لدينا ما نناقشه ، أنا وأدون (موراي) .

اتعقد حاجبا السكرتيرة الشمطاء بضع لحظات في

حنق ، قبل أن تتمم في عصبية :

- آه .. فهمت .

ثم غادرت الحجرة ، وأغلقت بابها خلفها في حدة ،

فهزت المديرية كتفيها ، وجلست خلف مكتبها ، وهي

تشير بيدها إشارة غير ذات معنى ، قائلة :

- لا تلق بالآ لغضبها يا أدون (موراي) .. لقد

اعتادت أن تسيّر كل الأمور على نحو يناسبها .

ابتسم ، قائلاً :

- ربما لأنها تشبه (جولدا مائير) كثيراً (*) ..
ضحكت المديرية ، هاتفة :
- بالتأكيد .

ثم ذابت ضحكتها في سرعة ، وسط بحر الصرامة
المحفور على ملامحها ، وهي تعتدل في مقعدها ،
وتسأله في حزم :
- والآن يا أدون (موراي) .. هلأ أعدت مطلبك
على مسامعي !
نطقتها ، دون أن تدري كم فجرت من مشاعر في
أعماقه ..

كم ألهبت أحاسيسه ..
وذكرياته ..
وكيانه كله ..

ها هو ذا أخيراً ، قاب قوسين أو أدنى ، ابنه
الوحيد ..

(*) جولدا مائير : رئيسة وزراء إسرائيلية سابقة ، كانت تحتل
منصبها في أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وفي أثناء مبادرة السلام ،
التي قام بها الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) ، لزيارة القدس .

ذلك الابن ، الذي ربط يوماً ، بينه وبين الد
الأعداء ، عبر تاريخه الطويل ..
(سونيا) ..

(سونيا جراهام) (*) ..
الابن الذي تصور يوماً أنه قد فقدته بسببها ..
إلى الأبد (**)

إنه لن ينسى قط عبارتها الشامتة ، وهي تخبره أن
أبشع ما تنتقم به منه ، هو أن ينشأ ابنه الوحيد
وينمو ، في قلب العدو ..
في قلب (إسرائيل) .. (***)

تلك العبارة التي سحقت قلبه يومئذ ، ومزقته بلا رحمة ..
العبارة ، التي بقي بسببها في (إسرائيل) ، بعد
أن أنهى مهمته ، وأعاد صديقه (قدرى) إلى
(القاهرة) .. (****)

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .
(**) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .
(***) راجع قصة (فوق القمة) .. المغامرة رقم (١١٩) .
(****) راجع قصة (اللمة الأخيرة) .. المغامرة
رقم (١٢٤) .

لقد بقي ليستعيده ..

ليستعيد ابنه ، الذي لم تقع عيناه عليه ، منذ زمن طويل ..

طويل للغاية ..

والمؤلم أنه لم يعد يدرى كيف يبدو الآن ؟!

كيف صار ؟!

أى وجه يحمل ؟!

بل وأى اسم ؟!

كل هذا جال بخاطره فى ثانية واحدة ، قبل أن يشد قامته ، ويتحرك فى حجرة مكتب مديرة كلية (بن جوريون) للناشئين (*) ، قائلاً :

- منذ فترة قريبة ، واجه العالم خطراً نووياً رهيباً ، بسبب شيطانة آدمية ، لا يعرف قلبها الشفقة أو الرحمة .. ربما لم تسمعى عن هذا الأمر قط يا سيدتى ، لأن كل الحكومات حرصت على أن تضعه طى الكتمان ، ولكن الخطر كان رهيباً بحق ..

(*) بن جوريون : أول رئيس وزراء ، بعد إعلان قيام

(إسرائيل) عام ١٩٤٨ م ، وأول وزير دفاع لها (٤٨ - ١٩٥٣ م) ،

كان زعيماً للحركات الصهيونية فى شبابه ، توفى عام ١٩٧٣ م .

جفّ حلقها ، وهى تقول :

- أتعشّم أن يكون قد انتهى .

أشار بيده ، قائلاً :

- تقريباً .

حدّقت فى وجهه مرة أخرى ، قبل أن تقول فى

عصبية :

- أى جواب هذا يا أدون (موراي) ؟! هل

انتهى الأمر أم لا ؟!

أجابها فى حزم :

- بالنسبة للخطر النووى ، فقد زال تماماً

يا سيدتى .. اطمئنى .. أما بالنسبة لتلك الشيطانة ،

فلم يتم حسم أمرها بعد .. لقد تطوّرت الأمور على

نحو غير تقليدى ، وانتهت بعلامة استفهام كبيرة .

وتوقّف ليشير بكفيه ، متابعاً :

- لقد اختفت .. لم يعد لها وجود .. لا أحد يمكنه

الجزم بما إذا كانت قد نجت ، أم لقيت مصرعها وسط

الأحداث .

ازدردت المديرة لعابها فى صعوبة ، من فرط

الإثارة ، وهى تتساءل :

- أليس لديكم دليل واحد!؟

هز رأسه نفيًا ، ثم أضاف في حزم :

- إلا إذا ..

هتفت في لهفة :

- إلا إذا ماذا!؟

اتعقد حاجباه في شدة ، على نحو يشف عن

معاناته ، وهوى يقول :

- لتلك المتوحشة ابن وحيد .. طفل برىء ، لم

يعان عذابات الدنيا بعد ، ولا يدرك شيئًا عن الصراع

الجهنمي ، بين أمه وزوجها السابق ، الذي شغلته

شهوة الانتقام منه ، عن التمتع بأمومتها ..

سألته بصوت مبحوح :

- أهذا هو الطفل ، الذي تبحث عنه!؟

أشار إليها بسبأبته ، قائلاً :

- بالضبط .

اتسعت عيناها في انبهار وانفعال ، وهي تسأله :

- ما الذي تريد معرفته بالضبط!؟

أجاب في سرعة :

- ذلك الطفل سيكون ثريًا بالتأكيد ، ويقيم هنا طوال

الوقت .. لا أحد يأتي لزيارته إلا فيما ندر على الأرجح ،

ونفقاته يتم دفعها بانتظام ، عن طريق بطاقات ائتمانية

كبيرة شهيرة ، وذهبية بالتأكيد ، أو عبر تحويلات

مالية ، من خارج (إسرائيل) .. عمره حوالي ..

استمعت إليه المديرية في اهتمام بالغ ، وهو يتحدث

عن الطفل ، وراحت تدون أمامها كل التفاصيل ، ثم

هتفت في حماس :

- أعتقد أننا نستطيع مساعدتك في هذا .

قال في توتر :

- أتعثم هذا يا سيدي ، فلقد طفت عدة أماكن ،

قبل أن آتى إلى هنا ، ولا يمكنك أن تتصورى كم

يهمنا بشدة أن نعثر على ذلك الطفل ، فالتوصل إليه

سيقودنا إليها مباشرة ، و ..

قاطعته في حماس :

- يمكننى فهم هذا .

ثم ضغطت زرًا على مكتبها ، مستطردة :

- نعم .. أعتقد أن باستطاعتنا مساعدتك .

دلفت سكرتيرتها الشمطاء إلى الحجره ، فى تلك

اللحظة ، وألقت نظرة محنقة على (أدهم) قبل أن تقول:

- فليكن .. يمكنك الانتظار .. على الأقل ستجد وقتنا
للحديث مع زميلك .

ردد (أدهم) فى حذر :

- زميلى !؟

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت من خلفه ،
يقول :

- (موراي) .. أيها المسن .. إذن فقد عدت من
رحلتك الطويلة .

اتعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وعقله ينطلق
كالصاروخ ، فى محاولة لتمييز الصوت ، وهو يلتفت
إلى صاحبه ..

وقبل حتى أن تقع عيناه عليه ، كان (أدهم) قد
أدرك من يواجه بالضبط ..

فذلك الزميل ، الذى أشارت إليه السكرتيرة
الشمطاء كان (ديلشمسكى) ..

(يارون ديلشمسكى) .. أخطر ضباط القسم
الخاص فى (الموساد) ..

على الإطلاق .

* * *

- أمرك يا سيدتى .

ناولتها المديرية الورقة ، التى تحوى كل البيانات ،
وهى تقول فى اهتمام واضح :

- استخدمى كمبيوتر الكلية ، وابحثى عن طفل
تنطبق عليه هذه المواصفات .

ألقت السكرتيرة نظرة سريعة على الورقة ، ثم
قالت فى خشونة :

- لدينا أطفال عديدون ، فى القسم الداخلى ، يمكن
أن تنطبق عليهم هذه المواصفات .

أجابها (أدهم) فى برود :

- أريد قائمة بهم إذن .

مطت شفيتها ، وكأنما لا يروق لها هذا : ثم قالت
فى صرامة :

- سيستغرق هذا بعض الوقت .

أجابها (أدهم) بنفس البرود :

- سأنتظر .

مطت شفيتها أكثر ، وعادت تلقى نظرة على الورقة ،
قبل أن ترفع عينيها إلى (أدهم) ، قائلة فى غلظة :

٢ - وجه الخطر ..

كل خلية في جسد رجل المخابرات المصري (نادر)، كانت تحمل طنًا من التوتر والانفعال ، انتقلت كلها إلى صوته وأصابعه ، وهو يهتف عبر هاتف المنزل الآمن في (نيويورك) :

- لقد اختفت تمامًا يا سيدي .. كلاً .. عملية الزرع الإلكتروني ليست خدعة .. مندوبو مؤسسة (أميجو) أتوا لاصطحابنا بالفعل ، وأخبروني ، بعد أن استعدت وعيي ، أن حادثة طريق قد أخرتهم عن الحضور في الموعد المناسب ، ومن الواضح أن بعضهم افتعل كل هذا ، حتى يمكنه اختطاف (جيهان) ..

سأله مدير المخابرات المصرية من (القاهرة) ، في توتر شديد :

- ولكن لماذا؟! بم يمكن أن تفيدهم (جيهان) ، في حالتها هذه!؟

أجابته (نادر) :



وقبل حتى أن تقع عيناه عليه ، كان (أدهم) قد أدرك من يواجهه بالضبط ..

- ربما كانت وسيلة للضغط على العقيد (أدهم) ،
على نجو أو آخر يا سيدي .. هناك حتماً من يعلم أنه
صاحب المؤسسة الحقيقي .

كان عقل المدير يعمل في سرعة ، وهو يقول :
- أو ربما هي محاولة للحصول على ما لديها .

كرّر (نادر) في توتر :
- ما لديها !؟

أجابه المدير في حزم :

- بالتأكيد يا رجل .. ربما كانت (جيهان) مقعدة ،
في الوقت الحالي ، ولكنها ما زالت واحدة من جهاز
المخابرات المصري ، ولديها طنٌّ من المعلومات ،
التي يقاتل الكثيرون للحصول عليها .

قال (نادر) :

- ولكن هذا يرتبط بمؤسسة (أميجو) ، على نحو
أو آخر يا سيدي .. قلت لك : إنهم كانوا في انتظارنا .
صمت المدير بضع لحظات ، وهو يفكر في الأمر
ملئياً ، قبل أن يسأل :

- هل لديكم أية فكرة عن المكان ، الذي اصطحبوا
(جيهان) إليه !؟

أجابه (نادر) في توتر :

- إننا نبذل قصارى جهدنا يا سيدي .. إنني أشعر
بمسئوليتي الخاصة ، تجاه هذا الأمر ، باعتباري
المسئول الأول عن أمنها وسلامتها ، لذا فبعد إذنك
يا سيدي ، سأتولى القضية بنفسى ، ولن أعود
إلى (القاهرة) ، إلا بعد حسمها تماماً .

قال المدير في حزم :
لك هذا .

ثم أنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى معاونيه ، قائلاً :
- لماذا !؟

أجابه أحدهم في سرعة :

- اختطاف ضابط مخابرات عملية تستحق
المخاطرة يا سيدي .

قال المدير في حزم :

- ربما كان هذا صحيحاً ، في زمن الحرب ،
أو حتى في أثناء الفترات المتوترة ، بين أجهزة
المخابرات بعضها وبعض ، ولكن ليس في ظروف
مستقرة ، أو حتى هادئة نسبياً .. فطوال الوقت ،
هناك ضباط من مختلف أجهزة المخابرات ، يجولون

هنا وهناك ، عبر دول العالم المختلفة ، دون أن
تحاول أجهزة المخابرات المنافسة قتلهم أو اختطافهم،
خشية إشعال حرب خفية ، قد لا تنتهى إلا بعد أن
يخسر الجانبان عشرات الضباط ، دون طائل يذكر .

والتقى حاجباه لحظة أخرى ، وهو يضيف :

- كلاً .. إنها ليست عملية مخابرات .

سأله معاون آخر فى حيرة :

- ما هى إذن !؟

هزّ مدير المخابرات رأسه ، مجيباً :

- حتى الآن ، لا أحد يدري .

ثم التفت إلى معاونيه ثانية ، مكماً فى صرامة :

- وهنا يبدأ عملنا .

وشدّ قامته ، وهو يواجههم ، مستطرداً :

- أن نعلم ... وبسرعة .

وكان هذا يحسم الأمر ..

ويبدأ مهمة جديدة ..

وخطيرة ..

* * *

من المؤكّد أن ظهور (ديلشمسكى) فى هذه
اللحظة بالذات ، لم يكن أمراً ساراً على الإطلاق ..
لقد كانت مفاجأة عنيفة ..
وسخيفة ..

صحيح أن (أدهم) قد تقمّص شخصية رجل
(الموساد) الكهل (جيل موراي) ، بدقة مدهشة ،
كعادته إلا أن التعامل مع مديرة مدرسة يهودية ، فى
التاسعة والخمسين من عمرها شىء ، ومواجهة ذنب
مفترس مثل (يارون ديلشمسكى) شىء آخر تماماً ..
ولقد بدا هذا واضحاً ، منذ اللحظة الأولى
للمواجهة ..

ففى هدوء شديد ، وبخطوات بطيئة واثقة قوية ،
ونظرة فاحصة مدقّقة ، تكاد تنفذ من عينيه
الزرقاوين إلى أعماقك ، دلف (ديلشمسكى) إلى
الحجرة ، قائلاً :

- عجباً !.. كنت أتصوّر أنك ستعود مساء الغد .

كان أنيقاً فى إفراط كعادته ، فيرتدى معطف مطر
باهظ الثمن ، وقفازين من الجلد ، على الرغم من أن
الطقس لم يكن بارداً إلى هذا الحد ، ويتألّق حذاؤه

الإيطالي لامعاً مصقولاً ، وكأنما خرج على الفور من
ورشة أحذية فاخرة ..

أما ملامحه الوسيمة للغاية ، فقد بدت باردة
ساخرة كعادته ، وعيناه تفحصان كل شبر من جسد
(أدهم) في سرعة ودقة ..

وعلى الرغم من عامل المفاجأة ، ومن ثقته
بقدرات (ديلشمسكى) ومهاراته ، ظلّ (أدهم)
محتفظاً بهدوئه الخارجى ، وإن افتعل سعالاً قصيراً ،
ليخفى به أى اختلاف ضئيل فى صوته ، عن صوت
(موراي) الحقيقى ، وهو يقول :

- كان هذا مقررًا فى الواقع ، ولكنك تعرف كيف
تتبدل الأمور .

هزّ (ديلشمسكى) كتفيه ، قائلاً :

- بالتأكيد .. أنا أيضاً عدت صباح اليوم من

(أمريكا الجنوبية) .

ثم لوّح بكفه ، وغمز بعينه ، مستطرذا بابتسامة
سخيفة :

- أنت تعلم أننى مسئول عن تلك المهمة هناك .

لم يكن (أدهم) يدرى شيئاً عن تلك المهمة ، التى
يشير إليها (ديلشمسكى) ، إلا أنه أشار بيده ، وهو
يقول ، مقلداً أسلوب ولهجة (موراي) :

- آه .. بالتأكيد .

رمقه (ديلشمسكى) بنظرة أخرى ، قبل أن يقول :

- عجباً .. يبدو أن طقس جنوب شرق (آسيا)

يناسبك كثيراً يا عزيزى (موراي) ؛ فأنت تبدو لى
بصحة أفضل .

غمغم (أدهم) فى اقتضاب :

- هذا صحيح .

ابتسمت مديرة الكلية ، وهى تشير إلى

(ديلشمسكى) ، قائلة :

- أدون (ياؤل) والد أحد تلاميذنا .

أجاب (أدهم) بنفس الاقتضاب :

- أعلم هذا .

ثم عاد يشد قامته ، ويكمل بلهجة حازمة :

- حسن يا سيدتى .. أشكرك على تعاونك ،

وسأعود بعد ساعة ، للحصول على المعلومات

المطلوبة .

سألته في دهشة :

- ألن تنتظر !؟

أجابها (أدهم) ، بابتسامة باهتة :

- بل سأعود بعد ساعة واحدة .. هذا يناسبكم ..

أليس كذلك !؟

بدا الاهتمام على وجه (ديلشمسكى) ، وهو

يسأله :

- أية معلومات تلك ، التي تبحث عنها هنا

يا (موراي) !؟

مط (أدهم) شفتيه ، وهز كتفيه ، وهو يجيب في

هدوء :

- مجرد عمل يا (يارون) .. لا تشغل نفسك بأمره ..

ثم سأله في سرعة قبل أن يمنحه فرصة للتساؤل :

- قل لي : هل ستعود مرة أخرى إلى (أمريكا

الجنوبية) !؟

ابتسم (ديلشمسكى) ، ورمى المديرية بنظرة

جانبية ، وهو يقول :

- بالتأكيد ، فذلك الشيء ما زال هناك .

قالها ، وهو يشير بسبابته إلى أعلى ، على نحو

أثار الكثير من حيرة (أدهم) واهتمامه ، إلا أن

الظروف المحيطة به ، جعلته يلوح بيده ، قائلاً :

- فليكن .. لقد أسعدنى لقاءك هنا يا (يارون) ..

سأحاول الاتصال بك غداً ، و ..

قاطعه (يارون) في صرامة :

- انتظر يا (موراي) .

التفت إليه (أدهم) بحركة حادة ، فأضاف بصرامة

أكبر :

- إنك لن تغادر هذا المكان الآن .

قالها ، وارتفت يده ، لتغوص في معطفه ..

وهنا انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ..

وانقبضت كل عضلة في جسده ..

فمع لهجة وأسلوب (ديلشمسكى) ، كان من

الواضح أن المواجهة بينهما ستبدأ الآن ..

بلا إبطاء ..

على الإطلاق ..

ومضة من الضوء تألقت بغتة ، في رأس (جيهان) ،

ممتزجة بصوت عميق ، يقول بالإنجليزية :

- سيّدة (جيهان) .. افتحى عينيك .. لقد استعدت
وعيك .. نحن نعلم هذا .

كان من الصعب عليها أن تفتح عينيها مباشرة ،
مع الضوء المسلط عليهما ، من مصباح يدوى
صغير ، فتمتعت ، وهي تحمى عينيها بكفها :

- ومن أنتم !؟

بدا لها الصوت صارماً للغاية ، وصاحبه يقول :
- ليس هذا من شأنك .

ابتعد الضوء المباشر عن عينيها ، مع عبارته
هذه ، ففتحتهما في ببطء ، وتطلعت إليه في اهتمام ..
كان ذلك الرجل (مكارثي) ، الذي استقبلها
وزميلها ، في مطار (نيويورك) ..

وكان وحده معها ، في حجرة كبيرة ، بها فراش
ومقعد ، بخلاف مقعدها المتحرك ، الذي ما زالت
تجلس عليه ، وفي نهايتها كان هناك باب صغير ،
يجاور نافذة مرتفعة ، من الزجاج شبه المعتم ..
وخلف تلك النافذة ، كان هناك ضوء ..

وظل ..

لم يمكنها تمييز ذلك الظل في البداية ، وهي تسأل
الرجل في حدة :

- هل لى أن أفهم ما يحدث هنا !؟
هزّ كتفيه ، وهو يجلس على المقعد ، ويقول فى
هدوء :

- كل ما يمكنك معرفته هو أننا سنستضيفك هنا
لبعض الوقت .. لن يكون طويلاً ، من الناحية
الزمنية ، ولكن أسلوبك وتعاونك يمكن أن يجعله
قطعة من الجنة ، أو حفرة من الجحيم .. فما رأيك !؟
أجابته فى سخريّة عصبية :

- كلمة استضافة تعبير لطيف بالفعل ، ولكنه يبدو
سخيفاً للغاية ، فى ظروفنا هذه ، فلماذا لا نتحدّث فى
صراحة ووضوح !؟

ابتسم فى سخريّة ، وهو يشعل سيجارته ، قائلاً :
- لديك أسئلة كثيرة .. أليس كذلك !؟
هتفت :

- يا للعبقرية ! اسمح لى بصفحك أيها الذكى .
انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :
- المشكلة أنك لن تحصلى على أية أجوبة شافية ،
فى الوقت الحالى .

قالت في عصبية :

- ومن يحتاج إليها؟! الأمر واضح للغاية .. أنتم من (الموساد) .. أليس كذلك؟!!

ابتسم في سخرية ، مجيباً ، وهو ينفث دخان سيجارته في وجهها :

- خطأ .. ربما كانت لنا صداقات مع (الموساد) ، ولكننا لا ننتمي إليه بالتأكيد .

ثم مال نحوها ، مستطرذاً :

- والأفضل أن توفرى كل محاولات الذكاء حتى تنتهى العملية ، ونلقى بك خارجاً .

مالت نحوه ، متسائلة بصوت خافت :

- ربما كانت لدى فكرة محدودة .

هتف :

- ماذا تقولين؟! لست أسمعك جيداً .

تابعت بصوت أكثر خفوتاً، وكأنها لم تسمع هتافه :

- إنكم تحتجزوننى هنا لسبب ما .. أو للحظة ما .
بدا عليه التوتر ، وهو يميل نحوها أكثر ، ويدير وجهه ليواجهها بأذنه ، قائلاً في حدة :

- ارفعى صوتك أيتها الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، تحركت يداها في سرعة مدهشة ، فجذبت إليها من سترته بيمنها ، في حين وثبت يسراها تختطف مسدسه من غمده ، وتهوى به على فكه بضربة عنيفة ، هاتفة :

- إياك أن تنطقها .

تفجرت الدماء من أنفه وفمه ، وتطايرت إحدى أسنانه ، في نفس الوقت الذى واصلت هى فيه حركتها السريعة ، فأحاطت عنقه بساعدها الأيمن ، وضغطته في غلظة ، وهى تغرس فوهة مسدسه في عنقه بقسوة ، قائلة بلهجة صارمة عنيفة :

- من أنتم؟! وماذا تريدون منى؟!!

هتف (مكارثى) بصوت مختنق :

- أتركينى .. إنك تقتليننى .

صرخت :

- قل لى من أنتم؟!!

ومع صرختها ، افتحم ثلاثة رجال المكان ، وهم يرتدون أقنعة واقية من الغازات ، ويحملون أسطوانات صغيرة ، أطلقوا منها أيضاً من الغازات في وجهها ، فأدارت فوهة المسدس نحوهم ، وأطلقت رصاصاتها ، صارخة :

- من أنتم !؟
وفي تلك اللحظة ..
في تلك اللحظة فقط ، لمحت ذلك الظل ، خلف
النافذة شبه المعتمة ..
وميزته ..
كان ظل امرأة ، تمسك سيجارة طويلة رفيعة ،
وتنفث دخانها في بضع ..
وكان هذا آخر ما رآته (جيهان) ، قبل أن تظلم
الدنيا من حولها ..
تماماً ..

★ ★ ★

لشوان ، تحفزت كل عضلة في جسده (أدهم) ،
للاتقاض على (ديلشمسكى) ، والاشتباك معه في
معركة عنيفة ..
ولكن الإسرائيلي ابتسم ..
ابتسم ، وهو يشير بيده ، قائلاً :
- انتظر قليلاً ، فسأنتهى عملي هنا سريعاً ،
وننصرف معاً .. هناك أمور مهمة للغاية ، أود
التحدث معك بشأنها .



وثبت يسراها تختطف مسدسه من غمده ، وتهوى به على
فكه بضربة عنيفة ..

ابتسم (ديلشمسكى) فى خبث ، وهو يميل نحوه ،
قائلاً :

- قل لى يا عزيزى (موراي) .. هل لعودتك
المبكرة علاقة بما حدث هنا ؟!
سأله (أدهم) فى حذر :
- ماذا تعنى ؟!

سار (ديلشمسكى) إلى جواره نحو سيارته ،
قائلاً :

- أنت تعلم أنهم قد أوقفوا (دافيد) و (جولدمان) ،
وهذا يعنى أن منصب رئيس البيت الكبير صار
شاغراً ، وسيبحثون حتماً عن من يشغله .
سأله (أدهم) :

- وهل تتصور أنى الشخص المناسب للمنصب ؟!
أطلق (ديلشمسكى) ضحكة قصيرة خبيثة ، قبل
أن يقول :

- كلاهما يصلح للمنصب يا عزيزى (موراي) ،
ولكن أحداً لم يعرض على قط ، فما الذى يعنيه هذا
فى رأيك ؟!

كان من الممكن أن يرفض (أدهم) البقاء ، وأن
يجد ألف ألف حجة للتصرف ، والعودة بعد ساعة
واحدة ، للحصول على كافة المعلومات الخاصة
بإبنه ..

أو بمن تتشابه ظروفهم مع ابنه ..
ولكن شيئاً ما جعله يفضل البقاء ..
لقد راودته رغبة قوية ، فى معرفة تلك المهمة ،
التي يسعى (ديلشمسكى) من أجلها ، فى (أمريكا
الجنوبية) ..
لذا فقد انتظر ..

ولم يستغرق بقاء (ديلشمسكى) سوى دقائق
معدودة ، راجع خلالها أوراق ابنه ودرجاته العملية ،
قبل أن يغادر المكان ، وهو يضع يده على كتف
(أدهم) ، قائلاً :

- كلاهما لم يكن هنا ، فى الآونة الأخيرة ، ولكن من
المؤكد أنك سمعت مثلى عما فعله (أدهم صبرى)
هنا .. أليس كذلك ؟!

أوماً (أدهم) برأسه ، مغمغماً :
- بلى .

هزّ (أدهم) رأسه نفياً ، وتوقف عند سيارته ،
قائلاً في صرامة :

- لا يعنى شيئاً يا (يارون) .

أطلق (ديلشمسكى) ضحكة أخرى ، قائلاً :
- هكذا !؟

ثم أشعل واحدة من سجائره في عصبية ، مستطرداً :
- اسمع يا (موراي) .. أنت تعلم أنني لا أميل
إلى المناصب والأعمال المكتبية بطبيعتي ، ولكن ،
بالنسبة لما أقوم به الآن ، فأنا أعتقد أنني الشخص
المناسب تماماً ، لهذه الوظيفة الشاغرة .

قال (أدهم) في حذر ، محاولاً استدراجه للحديث
عن مهمته :

- ربما كان هذا من وجهة نظرك فحسب .

هزّ (ديلشمسكى) رأسه في قوة ، ونفت دخان
سيجارتته في عصبية ، قائلاً :

- كلاً يا (موراي) .. إنهم يدركون أهمية
وخطورة هذه العملية ، وإلا ما اختاروني خصيصاً من
أجلها .. لقد حاولوا ثلاث مرات من قبل ، وباعت كل
محاولاتهم بالفشل .. هل نسيت هذا !؟

تحفّزت مشاعر (أدهم) ، والتهبت أكثر وأكثر ،
على نحو جعله يقول في حزم :

- هذا الحديث لا يصلح هنا يا (يارون) .. تعال
ندور بسيارتى بعض الوقت .. هذا أكثر أمناً .

غمغم (ديلشمسكى) في عصبية :
- فليكن .

انطلقت بهما السيارة ، وراح (أدهم) يدور بها
في شوارع (تل أبيب) ، تاركاً (ديلشمسكى) ينفث
غضبه مع دخان سيجارته ، حتى انتهى منها ، فألقاها
من النافذة ، ثم التفت إليه ، قائلاً في حدة :

- لقد أسندوا إلى مهمة معقدة للغاية ، مع ميزانية
تتجاوز العشرة ملايين دولار ، وقاعدة إطلاق
صواريخ سرية خاصة .. ألا يعنى هذا أنهم يتقنون
تماماً بقدراتى .

غمغم (أدهم) في حذر :
- بالتأكيد .

أشعل (ديلشمسكى) سيجارة أخرى ، وهو يقول :
- كانت أمامهم فرصتان لتنفيذ المهمة ، ولكنهم
فشلوا تماماً .. مرة في (فرنسا) ، والأخرى في
(كوروا) .. ولو نجحوا لاختلف الموقف تماماً ..

كانت الأمور ستصبح أيسر ، والتكاليف ستتخفف إلى
العشر على الأقل .

التقى حاجبا (أدهم) في شدة ، وقد بدا عقله
يرسم صورة للمهمة ، التي بدت له مخيفة إلى حد
رهيب ، فغمغم في حذر :

- ولكن كل شيء استقر الآن ، فما الذي يمكن
فعله !؟

قال (ديلشمسكى) في صرامة :

- الكثير .

ثم نفث دخان سيجارته في قوة ، قبل أن يتابع في
حدة :

- من الخطر أن نسمح لهؤلاء العرب بالتقدم
والتطور على هذا النحو .. إنهم أعداء .. مهما عقدنا
معهم معاهدات سلام ، أو اتفاقيات ، أو مهادنات ..
إنهم يفوقوننا عدداً ، ولديهم حماس شديد ، عندما
تتاح لهم فرصة القتال .

والتفت إليه في عصبية ، وهو يلوح بيده ، هاتفاً :
- هل نسيت كيف كانوا ، في حرب أكتوبر !؟ ..

لقد قاتلوا كالأسود الكواسر .. واجهوا الدبابات
بصدورهم العارية ، وحطموا خط (بارليف) ،
وعبروا القناة .. هل نسيت !؟

أخفى (أدهم) ابتسامته ، وهو يقول :

- لا يمكنني أن أنسى بالتأكيد .

قال (ديلشمسكى) في حدة :

- كل هذا فعلوه ، بأقل قدر من التكنولوجيا ،
وبأبسط الطرق ، وأكثرها فاعلية ، فماذا لو منحتهم
تكنولوجيا العصر .

غمغم (أدهم) :

- سيصبحون أكثر قوة .

هتف (ديلشمسكى) :

- بل سيصبحون مارداً ، لن يمكننا أن نقف في
وجهه قط .

ثم ألقى سيجارته الثانية عبر النافذة ،
مضيفاً :

- ولهذا لا ينبغي أن نسمح لهم بالتقدم قط ..

هذا ما قدرته القيادة منذ زمن طويل .. وهذا
ما جعلنا نقتال كل عبقرية علمية تظهر وسطهم ..

بكل حراستهم ورعايتهم ، واختاروا أفضل طاقم أمن
لديهم ، حتى أمكنهم إكمال المهمة بسلام .
ثم ابتسم في شراسة ، متابعًا :

- ولكن هذا لم يكن يعنى أن الأمر قد انتهى
بالنسبة لنا ، فبعد ثلاثين ساعة أو أقل من الآن ،
سينفجر حلمهم في الفضاء ، ويتحوّل إلى أثر بعد
عين ..

قالها ، واتسعت ابتسامته ، لتتحوّل إلى ضحكة
شامتة كبيرة ..

ولم يكن الأمر بحاجة - عندئذ - للكثير من الذكاء ،
حتى يدرك (أدهم) طبيعة مهمة (يارون ديلشمسكى) ،
في (أمريكا الجنوبية) ..
ولا طبيعة الهدف ، الذي يسعى خلفه (الموساد)
هذه المرة ..

لقد كان قمرنا الصناعي الأول (نايل سات) ..
بالتحديد .

★ ★ ★

(سميرة موسى) ، و (سعيد بدير) ، و (يحيى
المشد) ، وغيرهم .. (*)

قال (أدهم) ، وهو يخفى غضبه :

- لا يمكننى أن أنسى هذا أيضًا .

تنهّد (ديلشمسكى) ، وحاول أن يسيطر على
توتره ، وأن يسترخى في مقعده ، وهو يقول :
- وفي هذه المرة ، كانوا يعلمون أن خطوتهم
ستقفز بهم ألف عام إلى الأمام ، لذا فقد أحاطوا الأمر

(*) الدكتورة (سميرة موسى) (١٩١٧ - ١٩٥٢ م) هي الفتاة
الوحيدة التي تخرجت من كلية العلوم ، بدرجة ١٩٣٩ م ، سافرت إلى
(بريطانيا) ، وحصلت على شهادة الدكتوراه في الإشعاع النووي عام
١٩٤٨ م ، واغتالها يد (الموساد) في ١٥ أغسطس ١٩٥٢ م ، في
الطريق إلى (كاليفورنيا) ، أما الدكتور (سعيد السيد بدير) فقد اغتاله
الإسرائيليون ، بسبب أبحاثه الخاصة بالتشويش على أقمار التجسس
الصناعية في ١٣ يوليو ١٩٨٩ م ، والدكتور (يحيى المشد) أحد
علماء الطاقة النووية ، كان مسنولاً عن البرنامج النووي العراقي
(وهو مصري الجنسية) ، عندما اغتاله (الموساد) في (باريس) ،
في ١٣ يونيو ١٩٨٠ م ، حيث تم العثور عليه ذبيحًا ، في الغرفة رقم
(٩٠٤١) ، في فندق (ميريديان) .

قلب الزنجي (ميرفي) ، ملك العالم السفلي في
(نيويورك) شفتيه الغليظتين ، وهو يتطلع في
استخفاف إلى (نادر) ، رجل المخابرات المصري ،
الذي وقف أمامه حازماً متماسكاً ، وهو يقول :

- بعضهم أرشدني إليك يا مستر (ميرفي) ..
أخبروني أنك تستطيع إفادتي فيما أبحث عنه .

راح (ميرفي) يعبث بخنجر ضخم ، من خناجر
الصيد ، فيلقيه ويلتقطه في خفة ومهارة ، وكأنما
يستعرض قدراته أمام (نادر) ، وهو يتفحص هذا
الأخير ببصره عدة مرات ، قبل أن يمسك مقبض
الخنجر أخيراً في قوة ، ويلوح به في وجه رجل
المخابرات ، قائلاً بصوت خشن غليظ ، يشف عن
وضاعة منشئه :

- ومن بعضهم هؤلاء؟! رجال الشرطة

الفيدرالية ، أم مباحث القتل ؟

أجابه (نادر) في صرامة :

- أصدقائي ليست لهم أية صفات رسمية هنا .

لم ترق هذه اللهجة القوية الواثقة للزنجي ، الذي
انعقد حاجباه الكثان في غضب ، وهو يقول :

- من أرسلك إلى هنا !؟

عقد (نادر) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- أناس لا يرغبون في كشف هوياتهم ، ولكنهم
مستعدون لدفع ثمن المعلومات .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف في حزم :

- وبسقاء .

لم يكن أسلوب (نادر) يناسب (ميرفي) قط ،
وهو الذي اعتاد أن ترتعد فرائص القوم ، إذا ما ذكر
اسمه ، أو ظهرت صورته ، واعتاد أن ينهار الكبار
أمامه ، ويجثون طالبين الرحمة ، و ..
« فتشوه جيداً .. » .

هتف بالعبارة في حدة ، فاندفع ثلاثة من رجاله
نحو (نادر) ، وراحوا يفتشونه في غلظة وخشونة ،

قبل أن يلتفت أحدهم إلى (ميرفي) ، قائلاً :

- لا أسلحة .

وأضاف زميله ، في شيء من الإحباط :

- أو نقود .

اتعقد حاجبا (ميرفى) الكئيب أكثر وأكثر ، وهو يسأل (نادر) فى عصبية :

- أحضرت لمقابلتى بلا أسلحة !؟

أوماً (نادر) برأسه إيجاباً ، وهو يجيب فى حزم :
- لست بحاجة إليها .

استفز جوابه الزنجى أكثر وأكثر ، فمال نحوه ، وعاد يلوح بخنجره فى وجهه ، وهو يقول فى حدة :

- اسمع يا هذا .. إما أنك أحمق مجنون ، أو أن ..

قبل أن يتم عبارته ، تحرك (نادر) فى سرعة

مدهشة ، فوثب يركل الخنجر من يده ، ثم دار حول نفسه ، والتقطه فى الهواء ، وهبط على مسافة متر

واحد إلى يسار (ميرفى) ، ليضع نصل الخنجر على عنق هذا الأخير ، قاللاً فى صرامة :

- هل سنضيع الوقت كله ، فى هذه الحوارات

السخيفة ، أم نبدأ عملنا على الفور !؟

احتقن وجه الزنجى بشدة ، وسرت موجة عنيفة

من التوتر بين رجاله ، الذين استلوا أسلحتهم فى سرعة وغضب ، فى حين هتف هو فى عصبية :

٥٠

- حسن .. ماذا تنتظر !؟ اذبحنى .. هيا ..

افعلها .. لست أبالى .

أجابه (نادر) فى شىء من الازدراء :

- ومن يبالى !؟

ثم ألقى الخنجر لصاحبه ، مضيفاً :

- هيا يا رجل .. دعنا لا نضيع المزيد من الوقت .

اتسعت عيون الرجال فى ذهول ، وهم يحدقون فى

(نادر) ، الذى عاد إلى موضعه ، وعاد يعقد

ساعديه أمام صدره ، ويتطلع إلى (ميرفى) فى

حزم ..

ولثانية أو ثانيتين ، تجمد المشهد تماماً ، فى هذه

الصورة ..

ثم تفجرت فجأة صيحة غضب ، والجميع يندفعون

نحو (نادر) ، و ..

« قفوا .. » .

انطلق الهتاف من بين شفتى (ميرفى) ، بكل

غلظته ، وصرامته ، وخشونته ..

وتجمد الجميع فى أماكنهم ..

والتفتوا فى دهشة إلى (ميرفى) .

وفى صرامة فظة ، هتف الزنجى :

٥١

- اتركونا وحدنا ، أنا وهذا السيد .

ثم ابتسم ابتسامة كبيرة ، برزت معها أسنانه الصفراء القنرة ، وهو يكمل :

- فلدينا ما نتحدث بشأنه .

تبادل الرجال نظرات غاضبة ، ثائرة ، محنقة ، وسرت بينهم همهمات ساخطة ، إلا أنهم جميعاً ، باستثناء الحارسين الخاصين ضخمي الجثة ، قد غادروا المكان في استسلام ورضوخ ، وما إن اختفى آخرهم ، حتى هتف (ميرفي) ، وهو يلتقط زجاجة شراب :

- رائع يا رجل .. لقد راق لي حقاً ما فعلت .. راق لي كثيراً .

وصب كأسين من الشراب ، دفع أحدهما نحو (نادر) ، مستطرذاً في جذل عجيب :

- والآن أخبرني يا رجل .. ماذا تريد بالضبط ؟! ما الذي تبحث عنه ؟!

أزاح (نادر) الكأس جانباً ، وهو يجيب :
- امرأة :

فهقه (ميرفي) ضاحكاً ، وهتف بأسلوب مبتذل :
- كلنا هذا الرجل يا صديقي .. كلنا هذا الرجل .

أكمل (نادر) ، متجاهلاً ذلك التعليق القدر تماماً :
- المرأة ، التي تم اختطافها من مطار (جي . إف . كيه) ، منذ ساعات .

توقفت يد (ميرفي) ، وهي ترفع كأسه إلى شفتيه ، والتقى حاجباه الكثان لحظة في شدة ، قبل أن يعيد الكأس إلى المائدة ، قائلاً :

- لحساب من تعمل يا رجل ؟!

سأله (نادر) :

- أليك أية معلومات عن الأمر ؟!

تردد (ميرفي) لحظة ، ثم لم يلبث أن نهض من مقعده الضخم ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- في عالمنا لا يمكنك أن تحبس المعلومات طويلاً يا رجل ، ولكن ليس كل ما يُعرف يُقال ، كما يقولون في عالمك .

غمغم (نادر) :

- إنك لا تدري شيئاً عن عالمي .

ابتسم (ميرفي) في سخرية ، قائلاً :

- كنت أقصد كل ما هو خارج عالمنا .

- فليكن يا رجل .. امنحنى يوماً واحداً ، و ..

قاطعه (نادر) فى حزم :

- ست ساعات .

استدار إليه (ميرفى) فى دهشة ، فكرر فى

صرامة :

- ست ساعات فقط يا (ميرفى) .. وهذه أقصى

مدة يمكننى انتظارها ، خاصة وأنتى سأبذل قصارى

جهدى ، فى كل ثانية منها ، للتوصل إليها ، ولو

حدث هذا قبل أن تفعل أنت ، سيعذ اتفاقنا لاغياً .. هل

تفهم !؟

ابتسم (ميرفى) فى توتر ، وغمغم :

- اتفقنا .

استدار (نادر) لينصرف ، فهتف به الزنجى :

- لو اختصرت الزمن إلى ثلاث ساعات ،

سيضاعف المبلغ .

لوح (نادر) بيده من خلف ظهره ، دون أن يجيب ،

فألقي الزنجى ما تبقى من كأسه فى جوفه دفعة

واحدة ، وهو يتابع انصرافه ، ولم يكذ (نادر) يغلق

ثم هز رأسه ، مكملاً :

- وما تطلبه يمسّ منطقة شديدة الخطورة من

عالمنا هذا .. منطقة ينبغى أن يتوخى المرء كل

الخطر ، قبل أن يدنو منها .

قال (نادر) فى بطء :

- قول لا يليق بالملك (ميرفى) .

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى الزنجى ، وهو

يغمغم :

- بالتأكيد .

ثم لوح بسبابته ، مستطرذاً فى صرامة :

- ولكن الثمن لن يكون بسيطاً .

لوح (نادر) بسبابته بدوره ، قائلاً :

- لا تقلق نفسك من هذه الناحية .

تمتم الزنجى :

- أتعشم هذا .

قالها ، وراح يرتشف كأسه فى بطء ، وعيناه

منشغلتان بتفكير عميق ، وكأنما يعيد دراسة الأمر فى

ذهنه مرات ومرات ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً :

الباب خلفه ، حتى قال أحد الحارسين الضخمين في
حدة :

- هل سنسمح له بالانصراف هكذا أيها الزعيم !؟

مسح (ميرفى) شفتيه بكفه ، وهو يقول :

- إنه زبون .

ثم استرخى في مقعده الكبير ، ولوح بسبابته في
الهواء ، مكملاً :

- السؤال هو : من يدفع أكثر ، مقابل هذه
المعلومات !؟

سأله أحد الحارسين في حذر :

- ماذا تعنى يا زعيم !؟

ابتسم (ميرفى) ابتسامة صفراء ، وهو
يجيب :

- أعنى أنه هناك وسيلة مثلى ؛ للإفادة من هذه

المعلومات ، إلى أقصى حد ممكن ، دون أن نشير
غضب أحد .

قالها ، والتقط سماعة هاتفه ، وتقاقرت سبابته

بسرعة فوق الأزرار ، وانتظر حتى سمع صوت
محدثه ، ثم هتف :

- (ميرفى) .. الملك .. كيف حالك يا رجل !؟

كان من الواضح أن أسلوبه المبتذل لم يرق
لمحدثه ، إذ انعقد حاجباه في شيء من التوتر ، وقال
في خشونة :

- أريد التحدث إلى السيِّدة .

وانتظر بضع لحظات ، قبل أن تتهلل أساريره مرة
أخرى .. ويهتف :

- سيِّدتى .. أنا (ميرفى) .. الملك .. لدى أخبار
تهمك .. تهمك للغاية ..

قالها ، واتسعت ابتسامته الصفراء أكثر ..
وأكثر ..

وأكثر ..

من المؤكَّد أن المفاجأة كانت قوية بالفعل ..
وإلى أقصى حد ..

فعلى الرغم من أن (أدهم) يعلم جيِّداً تفاصيل
المحاولة الإسرائيلية السابقة ؛ لإفساد القمر الصناعي

محاولة بعشرة ملايين دولار ، وقاعدة صواريخ ،
في مكان ما من (أمريكا الجنوبية) ..
محاولة أحيطت بسرية بالغة ، حتى إنه لم يتم
كشف أمرها إلا بالمصادفة ..
المصادفة البحتة ..

ومن الواضح أنها ضربة قدر ..
وفي الوقت المناسب تماماً ..

وعلى الرغم من عنف المفاجأة ، ظلت ملامح
(أدهم) بسيطة هادئة ، وهو يقود سيارته في
شوارع (تل أبيب) ، وراح عقله يعمل بسرعة
مذهلة ، للبحث عن وسيلة للحصول على جواب شاف
لعشرات الأسئلة ..

متى سينفذ الإسرائيليون عملياتهم !؟

أين !؟

وكيف !؟

وبكل حذر الدنيا ، ودون أن تنتقل ذرة واحدة
من فضوله واهتمامه إلى صوته ، سأل (أدهم)
(ديلشمسكى) :

- ومتى سيتم تنفيذ الخطة !؟

(نايل سات) (*) ، في (فرنسا) و (كورو) ،
إلا أنه لم يكن يتصور قط أن تمتد هذه المحاولات إلى
ما بعد إطلاق القمر ، واستقراره في مداره ، وبدء
تشغيله بالفعل (**) ..

ومن الواضح أنها محاولة جادة للغاية ..

(*) (نايل سات) : (Nile Sat) أول قمر صناعي مصري ،
وأول قمر اتصالات ، تمتلكه بالكامل دولة عربية ، ولقد بدأت فكرة
صنعه في أكتوبر ١٩٧٣ م ، ثم وقع الرئيس (مبارك) وثيقة البدء
في تصنيعه في ٣١ مايو ١٩٩٥ م ، وفي ١٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ،
تم توقيع الاتفاقية بين اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، ومؤسسة (ماترا
ماركوني) الفرنسية ، التي تولت عملية التصنيع ، ولقد تم إطلاق
القمر ، من خلال الصاروخ (Ariane 4) ، من (كورو) في
(أمريكا الجنوبية) ، وهي أقرب نقطة للمدار المحدود لاستقراره ..
ويبلغ وزن القمر حوالي الطنين ، وهو يتسع لاثني عشرة قناة ،
تصنع كل منها ست أو سبع قنوات فرعية مضغوطة ، وتقع محطة
بثه الرئيسية في مدينة ٦ أكتوبر ، أما المحطة الاحتياطية ، ففي
منطقة (الحمام) في (الإسكندرية) ..

(**) بدأ البث التجريبي للقمر (نايل سات) يوم ٣١ مايو

هز (ديلشمسكى) كتفيه ، قائلاً :

- المفترض أن أعود إلى هناك صباح الغد ، و ..
بتر عبارته بغثة ، وقد استعاد ذلك الحذر التقليدى ،
الذى يتميز به كل رجل مخابرات فى العالم ، فالتقى
حاجباه ، ومط شفتيه ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :
- هذا ليس موضوعنا على أية حال .

قال (أدهم) ، محاولاً استدراجه إلى موضوع
عملية قمر النيل مرة أخرى :

- الواقع أننى أتساءل : لماذا نبذل كل هذا الجهد ،
وننفق كل هذه الأموال ، لتدمير قمر اتصالات .
ابتسم (ديلشمسكى) فى سخرية ، قائلاً :

- يبدو أنك قد نسيت كل ما تعلمناه يا عزيزى
(موراي) .. لقد أطلق المصريون اليوم قمر
اتصالات ، وأضافوا اسمهم إلى قائمة الدول المرتادة
للفضاء ، فما الذى يمنعهم من إطلاق قمر تجسس فى
الغد؟! المثل يقول : « أعطهم قيراطاً يطلبون
فدانا » .. لا تمنحهم أبداً فرصة للتطور والتقدم ،
وإلا وثبوا إلى أعناقنا بعد أعوام قليلة ، وسحقونا
سحقاً ..

ثم مال نحو (أدهم) ، مستطرذاً فى مقت واضح :
- العرب قوة رهيبة يا (موراي) .. لو اتحدوا
لتحولوا إلى عملاق ، تعجز أية قوة فى الأرض عن
التصدى له .. إنهم يمتلكون كل مقومات الدول
العظمى .. الكفاءات البشرية ، والثروات الطبيعية ،
والأموال ، والطاقة بكل أنواعها ، ولكن مشكلتهم أن
اهتمامهم بالتكنولوجيا ضعيف ، ومقوماتهم منقسمة
فيما بينهم ، والخطر كل الخطر ، يكمن فى تقدمهم أو
اتحادهم ، والكارثة الكبرى لو اجتمع لهم هذا وذاك ..
(أمريكا) نفسها لن تجرؤ عندئذ على مس شعرة
واحدة منهم .

غمغم (أدهم) :

- ونحن بالتالى .

هتف (ديلشمسكى) :

- بالضبط .

وأشعل سيجارة أخرى ، وهو يضيف :

- لذا لا ينبغي أن نسمح لهم بوضع أقدامهم على
أول السلم يا رجل ، وإلا فوجئنا بهم فى اليوم التالى ،
فوق رؤوسنا .

تمتم (أدهم) :

- بالتأكيد ..

ثم عاد يسأل ، وهو يدور بالسيارة :

- أعتقد أنك قد استغللت وجودك في (أمريكا

الجنوبية) وزرت شقيقك في (بوليفيا) .. أليس كذلك !؟

لوح (ديلشمسكى) بذراعه ، قائلاً :

- كلا بالطبع .. (بوليفيا) بعيدة عن موقعنا ،

ثم إن ..

مرة أخرى بتر عبارته ، وانعقد حاجباه في توتر ،

وهو يغمغم :

- عجباً .. إنك تلقى الكثير من الأسئلة هذه المرة

يا (موراي) ، وعهدى بك لا تميل إلى هذا في

المعتاد .

رسم (أدهم) على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو

يقول :

- الناس تتغير يا (يارون) .

التفت إليه (ديلشمسكى) ، وأمعن النظر فيه هذه

المررة ، وهو يقول في بضع حذر :

- ليس إلى هذا الحد .

أدرك (أدهم) أن لحظة المواجهة قد حانت ، عندما

مال (يارون) نحوه أكثر ، وراح يتفرس ملامحه في

توتر ملحوظ ، انتقل إلى صوته ، وهو يتابع :

- هل تعلم .. لقد شعرت منذ اللحظة الأولى ، التي

وقع فيها بصري عليك أنك مختلف ، ولكنني لم أدر

عندئذ فيم كان اختلافك .. لقد كنت تبدو لي نفس

(موراي) الذي أعرفه ، ولكنك أكثر قوة وأوفر صحة ،

وكأنما انخفض عمرك عشر سنوات على الأقل ، أو ..

كان يسحب مسدسه في حذر ، وهو ينطق عبارته

الأخيرة ، ولكن قبضة (أدهم) انطلقت تنفجر في

وجهه كالقنبلة ، على نحو مباغت ، فبترت عبارته ،

ودفعته ليرتطم بباب السيارة في عنف ..

وصرخ (ديلشمسكى) ، وهو ينقض عليه بكل

غضبه ، ويده ما زالت تمسك مسدسه الضخم :

- إذن فهو أنت .

أمسك (أدهم) مقود السيارة بكل قوته بيسراه ؛

ليحافظ على انطلاقها ، وسط شوارع (تل أبيب) ،

وقبضته اليمنى تنقض مرة أخرى على أنف

(ديلشمسكى) ، قائلاً في سخرية :

- نعم .. هو أنا أيها الوغد .

حطمت اللكمة أنف (ديلشمسكى) ، فتفجرت منه
الدماء على نحو مخيف ، وانطلقت من حلقه شهقة
محنقة مختنقة ، وصرخ :

- إنها نهايتك أيها المصرى .

قالها ، وضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته ..

ولكن قبل انطلاقها بجزء من الثانية ، كان (أدهم)
قد قبض على معصمه بأصابع من فولاذ ، ورفع فوهة
المسدس عاليًا ، لتخترق الرصاصة سقف السيارة ..
وبحركة قوية عنيفة ، لوى (أدهم) معصم
(ديلشمسكى) ، وهو يقول :

- لا ألعاب نارية أيها الحقيير .

أفلتت أصابع (ديلشمسكى) مسدسه ، على الرغم
منه ، فتضاعف غضبه، وخاصة عندما ركل (أدهم)
المسدس بقدمه إلى الخلف ، مما جعله ينقض على
هذا الأخير كالوحش ، صارخًا :

- أنسييت أنك فى قلب (إسرائيل) !؟

كان (ديلشمسكى) قويًا ذا بأس شديد، و (أدهم)
بيذل جهدًا مزدوجًا ؛ للاشتباك معه ، والسيطرة على



كان يسحب مسدسه فى حذر ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، ولكن

قنصة (أدهم) انطلقت تنفجر فى وجهه ..

السيارة في الوقت ذاته ، لذا فقد انحرف بها إلى جانب الطريق ، عندما تلقى فكه لكمة قوية من قبضة الإسرائيلي ، فتخلّى عن عجلة القيادة ، واستدار يصدّ لكمة أخرى من (ديلشمسكى) ، هاتفًا :
- كلاً .. لم أنس .

ارتطمت السيارة بالأفريز ، ووثبت فوقه ، لتفتحم متجراً للعاديات ، و (أدهم) يرد اللكمة للإسرائيلي بكل قوته ، مستطرّداً :

- ولكننا نختلف في المسميات فحسب .

ثم أعقب اللكمة بثانية كالصاعقة ، مضيفاً في صرامة :

- إننى أطلق عليها اسم (فلسطين) .

كانت اللكمة الأخيرة من القوة ، حتى إن رأس (ديلشمسكى) ارتطم بزجاج الباب في عنف ، كان كافياً لتحطيمه ، وقبل أن تنتثر شظاياها ، أمسك (أدهم) شعر الإسرائيلي ، ودفع جبهته نحو تابلوه السيارة ، وهو يكمل :

- وهو اسمها الحقيقي .

اصطدم رأس (ديلشمسكى) بالتابلوه في عنف ، تحطمت معه واجهته الزجاجية ، ثم ارتفعت ركبة

(أدهم) ، لتضرب فكه ضربة أخيرة ، سقط لها الإسرائيلي فاقد الوعي ..

ولم يكن من الممكن أن يضيع (أدهم) لحظة واحدة ، بعد هذه المواجهة الصريحة ، لذا فقد وثب خارج السيارة ، في الوقت الذى اندفع فيه المارة وأصحاب المتجر نحوها ، وبدا صوت أبواق سيارات الشرطة واضحة ، ممتزجة بصوت شرطى الطريق ، الذى راح يشق الصفوف ، هاتفًا :

- ابتعدوا أيها السادة .. ابتعدوا .. افسحوا الطريق للشرطة .

وعلى الرغم من الزحام، انسل (أدهم) في خفة، ولسن كفيه في جيبى سرواله، وهو يبتعد في خطوات سريعة ..
يا لها من مصادفة مزدوجة عجيبة !

وصول (ديلشمسكى) إلى كلية (بن جوريون) ، في تلك اللحظات بالذات ، كان سبباً في كشف وجوده في (تل أبيب) ، بعد أن تصوّر الجميع أنه قد عاد إلى (القاهرة) ..

واتكشاف أمره هذا يفسد كل محاولاته لاستعادة ابنه ..

ويحتّم عليه الانسحاب بسرعة ..

ليس خوفاً على حياته هذه المرة ..
ولكن خشية أن يقودهم بحثهم عنه إلى كشف
علاقته بذلك الطفل ، الذي طلب جمع المعلومات
الخاصة به ..

خشية أن يدركوا أنه ليس ابن (سونيا جراهام)
فحسب ..

بل هو ابنه أيضاً ..

ابن (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ، عدوهم الأول ، وأخطر رجال
المخابرات المصرية على الإطلاق ..

ثم إن المصادفة نفسها قادته إلى كشف بالغ
الأهمية والخطورة ..

إلى المؤامرة الرهيبة ، التي يُعدّها الاسرائيليون ،
لتدمير قمرنا الصناعى الأول ..

(نايل سات) ..

صحيح أنه لم تسنح له فرصة كافية ؛ لمعرفة
التفاصيل الخاصة بتلك المؤامرة ، إلا أن لديه ما يكفى
بالتأكيد ..

فالأمر يتعلّق بإطلاق صاروخ مجهول الهوية ؛
لنسف القمر فى مداره ..

وذلك الصاروخ سيتم إطلاقه من قاعدة سرية ، فى
مكان ما من (أمريكا الجنوبية) ..
و (يارون ديلشمسكى) هو الذى يتولى تنفيذ
المهمة ..

وسيعود إلى (أمريكا الجنوبية) صباح الغد ..

وهذا يعنى أن المؤامرة لن تتم قبل مساء الغد .

وبسرعة مذهشة ، وذاكرة فوتوجرافية فذة ، راح
عقله يراجع جداول الطيران ، وهو يسير بخطوات
واسعة سريعة ، فى قلب (تل أبيب) ..

هناك طائرة مباشرة إلى (برازيليا) ، ستقلع فى
السادسة والرابع صباحاً ..

وأخرى ستنتقل إلى (نيويورك) ، فى تمام
الثامنة ..

وفى كل الأحوال ، لن يرحل (ديلشمسكى) قبل
تسع ساعات على الأقل ..

إذن فعليه أن يسبقه إلى هناك ..

وبأسرع وسيلة ممكنة ..

ومرة أخرى ، راح عقله يراجع جداول وخطوط
الطيران ..

لا توجد أية وسيلة مباشرة ، للوصول إلى (أمريكا الجنوبية) قبل (ديلشمسكى) ..

ثم إن الأمور ستتعدد كثيرا ، عندما يستعيد هذا الأخير وعيه ، ويبلغ رؤساءه ما حدث ، ويخبرهم أن (أدهم صبرى) ما زال فى قلب (تل أبيب) ..

عندئذ ستشتعل الأمور ، وتندلع النيران بلا هوادة .. وبلا رحمة ..

الوسيلة الوحيدة إذن هى أن يغادر (إسرائيل) .. وبأقصى سرعة ممكنة ..

نعم .. لو وجد مقعدا فى طائرة (لندن) التى ستقلع بعد ساعة واحدة ، ف ..

توقف تفكيره بغتة ، عند هذه النقطة ، وشعر بقبضة باردة كالثلج ، تعصر قلبه فى صدره ..

صحيح أنها الوسيلة الوحيدة ، ولكن ثمنها سيكون غاليا للغاية ، بالنسبة له ..

إنه سيفقد فرصة ذهبية ، للتوصل إلى ابنه .. ابنه الوحيد ..

وفى مرارة ، وبكل حزن الدنيا يعتصر قلبه ، أدرك (أدهم) أنه يقف أمام خيارين ، لا ثالث لهما ..

إما ابنه ..

أو وطنه ..

وكان الاختيار مؤلما ..

مؤلما إلى أقصى حد ..

تنحنج (ماكارثى) فى توتر ، وهو يمسح الدم ، الذى ما زال يسيل ، من موضع سننّه المكسورة ، وقال فى عصبية ، وهو يواجه رئيسه :

- تلك المخادعة الحقيرة .. لقد استغلت الموقف ، و ... قاطعته رئيسه فى سخريّة :

- يبدو أنها ليست الوحيدة ، التى تفعل هذا . اتعقد حاجباه فى مزيد من التوتر ، وهو يسألها فى عصبية :

- ماذا تعنين يا مسز (فلورانس) !؟

اتسعت ابتسامته رئيسه الساخرة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى بطء ، قبل أن تجيب :

- فى المطار ، انتزع رجل المخابرات المصرى مسدسك من غمده ، وهنا فعلتها زميلته ، قبل أن

تحطم أنفك وأسنانك .. قل لى يا عزيزى (ماكارثى) .. ألسنت تتفق معى فى أن سلاحك هذا صار لعبة ، فى

يد كل من يصطدم بك .

يقنعوا بدور الكومبارس(*)، وألا يتطلّعوا إلى أدوار البطولة.

مطّ (مكارثي) شفّتيه ، وقال :

- إنه مجرد قمر اتصالات .

أجابته في حدة ، وهي تلقى سيجارتها في عنف :

- بل هو بداية لافتحامهم عصر الفضاء .

هزّ كتفيه ، وحاول أن يقول شيئاً ، إلا أن رنين

هاتفها الخاص انطلق في هذه اللحظة ، فالتقطت

سمّاعته في سرعة ، قائلة :

- (كلارا فلورانس) ..

ثم انعقد حاجبها ، وهي تستمع إلى محدّثها في

اهتمام بالغ ، وبدا من الواضح أن ما تسمعه لم يرق

لها على الإطلاق ، فقد قالت في عصبية :

(*) الكومبارس : ممثل صغير ، يؤدي بعض الأدوار ، التي

لا تتطلب موهبة تمثيلية كبيرة ، ويظهر في كل الأفلام بلا استثناء ،

من خلال الأدوار الهامشية ، أو المجاميع ، أو الأدوار الفرعية ،

التي لا تزيد في السيناريو على بعض الجمل البسيطة ، وفي الحالة

الأخيرة يُطلق عليه اسم (كومبارس متكلم) .

انعقد حاجبها في صرامة ، وهو يقول :

- مسز (فلورانس) .. لا تنس أنني رجل

مخابرات سابق ، ولا يروق لي قط أن يسخر الآخرون

مني .

لوحت بكفها في لا مبالاة ، قائلة :

- احرص على ألا يفعلوا إذن .

بدا عليه النضب ، فنهضت من مقعدها ، ونفضت

رماد سيجارتها في هدوء ، متابعة :

- والآن أخبرني يا رجل المخابرات السابق ..

ما آخر أخبار قاعدة (كوماتا) ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

- إنهم يستعدون للإطلاق .. العد التنازلي سيبدأ في

السادسة مساء الغد .

غمغمت :

- عظيم ..

ثم نفّث دخان سيجارتها في عمق ، قبل أن تتابع

في وقت :

- سيلقن هذا المصريين درساً قاسياً ، حتى

لا يسعوا مرة أخرى إلى التفوق .. المفترض أن

- أنت واثق؟!!

ثم عادت تستمع مرة أخرى ، فى توتر بالغ ، قبل أن تقول فى نفس اللهجة العصبية :

- تابع الموقف ، وأبلغنى التطورات أولاً فأولاً .

وأنهت الاتصال فى حدة ، جعلت (مكارثى) يسألها :

- ماذا هناك؟!!

أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى عصبية :

- (أميجوصاندو) اتصل بمؤسسته ، وطلب إرسال طائرة خاصة على الفور ، لتحمله من مطار (لندن) ، الذى سيبلغه بعد ست ساعات .

قال (مكارثى) فى دهشة :

- عجباً ! لماذا لم ينتظر حتى يستقل طائرة

(تى. دبليو. إيه) ، التى ستقلع صباح الغد من هناك؟!!

نفثت دخان سيجارتها ، قائلة :

- من الواضح أنه يرغب فى الحضور إلى هنا بأقصى سرعة .

وانعقد حاجباها ، وهى تضيف :

- أو فى الذهاب إلى مكان آخر .

ثم تراجعت فى مقعدها ، مستطردة فى عصبية :

- خاصة وأنه قد أجرى هذا الاتصال من (إسرائيل) .

هتف (مكارثى) فى دهشة :

- من (إسرائيل)؟! ولكنك قلت إنه ..

قاطعته فى حدة :

- من الواضح أننا كنا جميعاً مخطئين ، فى هذا

الشأن .. إنه ما زال فى (إسرائيل) ، و ..

تألقت عيناها بغتة ، واتسعنا على نحو عجيب ،

قبل أن تهتف :

- وطائرة (لندن) لم تقلع بعد .

قالتها ، واختطفت سماعة الهاتف فى لهفة ، جعلت

(مكارثى) يسألها :

- أتعنين أنه ما زال فى قلب (إسرائيل)؟!!

بدت له عيناها أشبه بعينى لبؤة مفترسة ، وهى

تجيب :

- المهم إن يبقى هناك إلى الأبد .

وألقت نظرة سريعة على عقربى ساعتها ، وهى

تطلب رقماً عبر المحيط ، وغمغت فى توتر بالغ :

- اثنتى عشرة دقيقة .. طائرة (لندن) ستقلع بعد

اثنتى عشرة دقيقة .. ما زالت الأمور فى قبضتنا ،

لو تحركوا هناك بالسرعة اللازمة .

ومع آخر حروف كلماتها ، سمعت صوت محدثها ،
على الطرف الآخر للخط ، فهتفت :

- (رون) .. اسمعنى جيداً.. إنه أنا.. لدى معلومات
مؤكدة ، بأن (أدهم صبرى) ما زال فى قلب (إسرائيل) ..
نعم .. أنا واثقة من هذا تماماً .. لا تقاطعنى يا (رون) ،
واسمعنى جيداً ، فلا بد أن تتحركوا بأقصى سرعة ..
أمامكم إحدى عشرة دقيقة فحسب، وتفقدونه تماماً ..
وخلال نصف دقيقة فحسب ، كانت قد نقلت كل
ما لديها إلى (رون بنيامين) ، رئيس قسم الجاسوسية
الداخلية (شين بيت) ، فى (إسرائيل) ..

وكان تقديرها واختيارها سليمين للغاية ..

فما إن وضع (رون) سماعة الهاتف ، حتى
انطلق على الفور ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ،
إلى مطار (تل أبيب) ..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكى الخاص به ، بدأ
طاقم الأمن فى المطار إجراءاته على الفور ، للإيقاع
بأخطر عدو لـ (إسرائيل) ، فى العالم كله ..
بالرجل ..

رجل المستحيل !

٤- إجراءات أمن ..

« (قدرى) !! .. »

هتفت (منى) بالاسم ، فى سعادة غامرة ، وهى
تندفع نحو (قدرى) ، الذى وقف بباب حجرتها فى
المستشفى ، حاملاً ابنته الطفولية ، التى تشفى
عن فرحة طبيعية تلقائية، وهو يصافحها فى حرارة ،
قائلاً :

- أعلم أنك تستعدين لمغادرة المستشفى الآن ،
ولكننى لم أستطع مقاومة رغبتى فى رؤيتك يا جميلتى .
ضحكت ، قائلة :

- من الواضح أن مغامرتك العنيفة فى (إسرائيل) ،
لم تفلح فى تغييرك (*) .
أشار إلى الكدمات التى تملأ وجهه ، وهو يقول
مبتسماً :

(*) راجع قصة (الأصابع الذهبية) .. المغامرة رقم (١٢٢) .

- لقد بذلوا قصارى جهدهم هناك ، ولكنهم عجزوا
عن إعادة برمجتى .

رَبَّتْ عَلَى كَتْفِهِ فِي حَنَانٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

- الأَصَالَةُ يَصْعَبُ إِفْسَادُهَا .

ثُمَّ مَالَتْ نَحْوَهُ ، مُسْتَطْرِدَةٌ :

- حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ .

غَمِغَمَ فِي حَنَانٍ وَتَأَثَّرَ وَاضِحِينَ :

- حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ أَيْضًا .

كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ طَبِيعَتَهُ الْمَرْهَفَةَ تَقَاوَمَ رَغْبَتَهُ
فِي الْبُكَاءِ ، فَقَدْ أَشَاحَ بِوَجْهِهِ ، لِيَخْفَى دَمْعَةٌ تَرَقَّرَتْ
فِي عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- هَلْ يُمْكِنُنِي الْجُلُوسُ قَلِيلًا ، أَمْ أَنْكَ تَتَعَجَّلِينَ
الرَّحِيلَ !؟

أَجَابَتْهُ فِي حِمَاسٍ :

- تَفَضَّلْ .. إِنِّي لَمْ أَعِدْ حَقِيبَتِي بَعْدَ .

جَلَسَ عَلَى الْأَرِيكَةِ الْكَبِيرَةِ ، الَّتِي تَكْفِي جَسَدَهُ
الضَّخْمَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- هَلْ مِنْ أَخْبَارٍ جَدِيدَةٍ عَنْ (أَدَهْم) !؟

شَعَرْتُ بِجَسَدِهَا يَنْتَفِضُ ، عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِهِ ،
وَتَمَتَّتْ فِي تَوْتَرٍ :

- الْمَفْتَرِضُ أَنْ أَلْقَى عَلَيْكَ أَنَا هَذَا السُّؤَالَ .

تَتَهَدَّدُ ، قَائِلًا :

- مَا فَعَلَهُ (أَدَهْم) مِنْ أَجْلِي ، لَنْ يُمْكِنُنِي نَسْيَانَهُ
قَطُّ ، وَلَكِنْ مِنْذُ مَغَادِرَتِي (تَلَّ أَبِيبٌ) ، لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا
عَنْهُ قَطُّ .

جَلَسَتْ عَلَى الْمَقْعَدِ الْمَجَارِوِ لَهُ ، قَائِلَةً فِي أَسَى :

- إِنَّهُ لَمْ يَعِدْ بَعْدَ ، وَلَسْتَ أَدْرِي لِمَاذَا !؟

أَجَابَهَا مَتَعَاظِفًا :

- (أَدَهْم) لَدِيَّةُ أَسْبَابِهِ .

غَمِغَمَتْ :

- دَائِمًا لَدِيهِ أَسْبَابُهُ .

وَقَاوَمَتْ بِدَوْرِهَا دَمْعَةً تَجَاهَدُ لِلْإِفْلَاتِ مِنْ عَيْنَيْهَا ،

وَهِيَ تَضْيِفُ :

- الَّتِي نَجْهَلُ مَعْظَمَهَا .

تَطَّلَعَ إِلَيْهَا (قَدْرِي) لِحِظَةٍ فِي صَمْتٍ ، قَبْلَ أَنْ

يَقُولُ :

- كَلْنَا نَعْلَمُ أَنَّ (أَدَهْم) لَيْسَ شَخْصًا عَادِيًّا ، وَلَمْ

تتح له قط فرصة العيش كفرد عادى فى المجتمع ،
فمنذ حدثته ، تولى والده تدريبه ، حتى يصبح أفضل
رجل مخابرات عرفه التاريخ ، ومن المؤكد أن هذا قد
حرمه من الكثير ، مما يتمتع به الصبية والشباب .

سألته فى دهشة :

- هل تشعر بالشفقة من أجله !؟

تنهّد ، مجيباً :

- بالتأكيد .. كثيراً ما أشعر بالشفقة والتعاطف
تجاهه ، على الرغم من كل ما يتمتع به من قدرات
ومهارات .. ربما اعتاد حياته هذه ، الحافلة بالنشاط
والحركة ، والتي تحمل طناً من الخطر ، مع كل خطوة
يخطوها ، ولكن اعتياده هذا لا ينفي أنه يفتقد الكثير
من متع الحياة الطبيعية، التي يتمتع بها عامة الناس .

قالت فى أسف :

- مثلنا لا يمكن أن يحيا ، مثلما يفعل عامة الناس .

هز رأسه ، قالاً :

- للأسف .

انبعث صوت يقول بغتة :

- ولماذا الأسف !؟

التفت الاثنان فى دهشة إلى مصدر الصوت ، ووقع
بصرهما على امرأة ، فى أوائل الثلاثينات من عمرها ،
لم تنجح الكدمات الواضحة ، حول عينيها وفكها ، من
إخفاء جمالها ، أو أنوثتها الطاغية ، وهى تكمل
بابتسامة لم ترق أبداً - (منى) :

- إننى أعشق هذا النوع من الحياة .

قال (قدرى) فى توتر :

- سيدتى .. تدخلك هذا يعدّ ..

قاطعته فى شىء من السخرية :

- من سوء اللياقة .. أليس كذلك !؟

ثم أطلقت ضحكة قصيرة ، استفزت مشاعره أكثر ،
فى حين قالت (منى) ، وهى تتطلع إليها فى حذر :

- هل تعملين معنا !؟

أشارت القادمة بسبابتها ، قائلة :

- إننى أعمل لحساب المخابرات المصرية ، قبل

سنوات من التحاقك بها يا عزيزتى (منى) ، ولقد

شاركت فى إعادتك إلى (القاهرة) يا عزيزى (قدرى) ،

ولكن أهدنا لم يلتق بالآخر قط ، نظراً لطبيعة عملي

الخاصة جداً .

غمغم (قدرى) فى دهشة :

- شاركت فى إعادتى إلى (القاهرة) ؟! هل تعين
أنتك كنت فى ..

قاطعته مكملة :

- فى (إسرائيل) .. نعم يا عزيزى (قدرى) ..
كنت فى (إسرائيل) ، عندما كانوا يحتجزونك هناك ،
ولكن الطريف ، والذي ربما يباغتكما معاً ، هو أنني
لم أذهب إليها لاستعادتك ، وإنما كنت أقيم فيها
لسنوات طوال .

ثم مدت يدها إليهما ، وهى تدلف إلى الحجرة ،
قائلة :

- دعائى أقدم نفسى .. فى (إسرائيل) كنت أحمل
اسم (راشيل) .. (راشيل فريمان) ، أما الآن ،
وبعد أن عدت إلى موطنى ، صار من حقى أن أستعيد
اسمى الأسمى .. (نادية) .. (نادية سيف الدين) .
صافحها (قدرى) مبهوراً ، وهو يتمتم :

- اسم جميل كصاحبته .

أما (منى) ، فقد سألتها فى تحفظ :

- تشرفنا يا سيّدة (نادية) ، ولكننى مازلت
أتساءل عن سر زيارتك لى فى المستشفى .

تطلعت إليها (نادية) بضع لحظات فى صمت ،
وارتسمت على طرف شفّتها ابتسامة لم ترق أيضاً
لـ (منى) ، وهى تتفحصها جيّداً ، بنظرة تدركها كل
أنثى فى الأرض ، قبل أن تقول :

- أخبرونى أنك أقرب الناس إلى (أدهم صبرى) .
ثم قفزت نظرة متحدية إلى عينيها ، وهى تكمل :

- وأنا أرغب فى معرفة الكثير عنه .

خفق قلب (منى) فى قوة ، وانتفض لحظة بين
ضلوعها ، وهى تردّد :

- ترغيبين فى ماذا ؟!

جلست (نادية) إلى جوار (قدرى) ، وهى تقول :

- أريد معرفة كيف يفكر ؟! ما الذى يحبه أو
يكرهه ؟! من أخطر أعدائه ؟! و ..

قاطعتها (منى) فى عصبية :

- ولماذا ترغيبين فى معرفة كل هذا ؟!

رمقتها (نادية) بنفس النظرة المتحدية ، وهى
تجيب :

- من الطبيعى أن أسعى لمعرفة كل شىء ، عن
الرجل الذى سأرتبط به .

اتسعت عينا (قدرى) ، وهو يحدّق فيها بذهول ،
فى حين انتفض جسد (منى) كله فى عنف ، وكأنما
أصابتها ألف صاعقة ، وهى تهتف :
- ترتبطين به .

أشارت (نادية) بسبابتها ، وهى تقول فى خبث :
- لبعض الوقت فحسب .

ثم تراجععت ، لتسند ظهرها إلى الأريكة فى
استرخاء ، مكملة فى سخريّة خبيثة :
- أعنى من خلال العمل الرسمى .

شعر (قدرى) بالكثير من القلق ، وهو ينقل
بصره ، بينها وبين (منى) ، التى بدت شاحبة
ممتقعة ، وهى تقول ، بصوت أقرب إلى الهمس :
- إلام تلمحين بالضبط !؟

اتسعت ابتسامه (نادية) ، وبدت كامرأة نجحت
فى بلوغ هدف أنثوى خبيث ، وهى تقول :

- آه .. نسيت أن أخبركما أننى ، وبعد عودتى من
(إسرائيل) ، قد تسلّمت عملى فى الجهاز ، الذى
أسند إلى مهمة جديدة ، مع بظلكم (أدهم صبرى) ،
نظراً لخبرتى فى مجال المعلومات والأمن الإسرائيلى .

سألته (منى) ، بصوت بلغ شحوبه منتهاه :
- مهمة جديدة !؟ هل بدأ (أدهم) مهمة جديدة !؟
بدت ابتسامه (نادية) ظافرة ، وهى تقول :
- لقد أرسل برقية شفرية عاجلة ، من قلب
(إسرائيل) ، أبلغ فيها القيادة بأمر بالغة الخطورة ،
وأخبرهم أنه فى طريقه للقيام بمحاولة لإفساد خطة
إسرائيلية ، مما دعا القيادة إلى تكليفى مهمة اللحاق
به هناك .

وتنهّدت ، مضيفة فى خبث :

- أى أننى سأعمل إلى جواره مرة أخرى .
تضاعف قلق (قدرى) ، وهو يتطلّع إلى (منى) ،
التى تجمّدت مشاعرهما كلها ، فى وجهها الشاحب
الملتقح ، وهى تتطلّع بدورها إلى (نادية) ..
ها هى ذى منافسة جديدة تقّحم الساحة ..
منافسة تتفجّر بالجمال والأنوثة ..
وبالإصرار على النصر ..

مهما كان الثمن ..
وهذا يعنى أن المنافسة قوية ، و ...
وفجأة ، قفزت إلى ذهنها كلمات (جيهان) ..

« كل ما ينقصك يا (منى) هو الثقة .. الثقة فى
أن (أدهم) لم ولن يحب سواك .. »
« كل ما ينقصك هو الثقة .. »
« الثقة .. »

وارتفع حاجبا (قدرى) ، فى دهشة بالغة ، عندما
عاد وجه (منى) يتورد فى هدوء ، واستعادت
عينها بريقهما ، وارتسمت ابتسامة واثقة ظافرة على
شفتيها ، وهى تقول فى برود ، عاقدة ساعديها أمام
صدرها :

- ستجدين العمل إلى جواره ممتعا بحق .. أنا
خبيرة فى هذا المضمار .
انعقد حاجبا (نادية) ، وهى تقول فى شىء من
التوتر :

- حقا !؟

اتسعت ابتسامته (منى) ، وهى تجيب :
- بالطبع .. من المؤكد أن هذا ما أخبروك به ،
وما دعاك إلى الحضور إلى هنا ، قبل سفرك إليه ..
لقد أردت الحصول على شىء من خبراتى فى العمل
معه .. أليس كذلك !؟

نهضت (نادية) بحركة حادة ، وهى تقول :
- لا داعى لهذا .. كل شىء يتطور ، والمرء يميل
بطبعه إلى الأحدث .

ثم أضافت فى خبث :

- هذه سمة الرجال على الأقل .

أجابتها (منى) ، فى هدوء واثق :

- ليس فى كل الأحوال .

تألفت عينا (قدرى) هذه المرة ، مع النظرة
المتحدية الصامتة ، التى تبادلتها المرأتان ، والتى
بدت (منى) خلالها شديدة الوثوق من موقفها ، حتى
إن (نادية) قالت فى حزم عنيد :

- سنرى .

أجابتها (منى) فى سرعة :

- بالتأكيد .

استدارت (نادية) فى حركة حادة ، واندفعت نحو
الباب ، دون أن تلقى عليهما التحية ، فنادت بها (منى)
فى هدوء :

- (نادية) .

التفتت إليها (نادية) فى حنق ، فتأبعت بابتسامة
كبيرة :

- عندما تلتقين بـ (أدهم) ، أبلغيه تحياتى ،
وأخبريه بأننى سأنتظر عودته سالمًا ، بإذن الله
(سبحانه وتعالى) ، على أحر من الجمر .
مطت (نادية) شفتيها ، واندفعت تغادر المكان
دون تعليق ، فقفز (قدرى) من مجلسه ، وهتف فى
حماس :

- رابع يا (منى) .. لقد تعاملت معها كما ينبغى ..
منتهى القوة والحزم ، والثقة .. مرحى .. هذه هى
(منى) التى أعرفها .
تنهدت ، قائلة :

- لا تجعل هذا يخدعك يا صديقى .. إننى فى الواقع
أشعر بقلق بالغ .
سألها فى دهشة :

- لماذا؟! ..

أشارت بيدها ، مجيبة :
- لأن تلك الوقحة كانت على حق فى بعض
ما قالته .

ثم شردت عيناها ، وهى تضيف :

- كل شىء يتغير .
ولم يعترض (قدرى) هذه المرة ..
لقد كانت على حق ..
كل شىء يتغير ..
بلا استثناء ..

وبتداع يصعب وصفه ، فقز به هذا إلى سؤال تال ..
ترى هل سينجح (أدهم) فى الخروج من
(إسرائيل) سالمًا؟! ..

وما طبيعة تلك المهمة ، التى ستشاركه إياها
(نادية)؟! ..

تردّدت عشرات الأسئلة الأخرى فى رأسه ، دون
أن يتصور لحظة واحدة ، أن (أدهم صبرى) كان
يستعد بالفعل لمغادرة (إسرائيل) ..

ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل أبدًا ..
لقد كان يواجه الخطر هناك ..
كل الخطر ..

راجع قائد طائرة (لندن) ، التى تستعد للإقلاع ،

من مطار (تل أبيب) ، مؤشرات وعدادات الطائرة ،
وهو يقول لمساعدته :

- كل شيء على ما يرام .. سنقلع في موعدنا
كالمعتاد .

غمغم مساعده ، في شيء من الارتياح :

- البرج لم يمنحنا إذن الإقلاع بعد .

التفت إليه الطيار في دهشة ، قائلاً :

- لماذا؟!!

هز مساعده رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لست أدرى .. لقد طلبت الإذن مرتين ، ولكنهم

تجاهلوا هذا تمامًا ، ثم إن رجال الأمن يتحركون في

توتر ملحوظ ، في هذه المنطقة بالتحديد ، ولو استمر

الوضع على هذا المنوال ، سنقلع طائرة (قبرص)

قبلنا .

انعقد حاجبا الطيار ، وهو يقول :

- عجبًا .. هذه أول مرة يحدث فيها هذا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت صارم ، عبر

جهاز الاتصال ، يقول :

- من برج المراقبة إلى طائرة (لندن) .. لقد

تأجل موعد إقلاعكم .. افتحوا أبواب الطائرة ،
واستعدوا لتفتيش كامل .

هتف الطيار في انزعاج :

- تفتيش ماذا؟! ما الذي حدث بالضبط؟! هل أبلغ

أحد بوجود قبيلة مثلًا؟!!

أجابه صاحب الصوت الصارم :

- كلا .. إنها مجرد إجراءات أمن ..

هتف الطيار في حنق :

- إجراءات أمن؟! أي قول مطاطي هـ ..

انتهى الاتصال بغتة ، قبل أن يتم عبارته ، فصاح

في غضب :

- يا للسخافة!

سأله مساعده في توتر :

- ماذا سنفعل؟!!

أجابه في حدة :

- يا له من سؤال! سنفعل ما تقتضيه القوانين

والأعراف ، في كل مطارات العالم .. سنطيعهم تمامًا .

ولم تكذب أبواب الطائرة تنفتح ، حتى اندفع إليها

رجال أمن المطار ، ورجال (شين بيت) ، حاملين

أسلحتهم ومدافعهم الآلية ، على نحو آثار زعر الركاب
ورعبهم ، فانطلقت صرخاتهم تشق المكان ، حتى برز
(رون بنيامين) بنفسه ، وهو يقول في صرامة :

- اهدءوا .. إنها مجرد إجراءات أمن .. لن يصيبكم
أدنى ضرر ، لو ظل كل منكم في موضعه .

عاد الجميع إلى مقاعدهم مذعورين ، واتسعت
عيونهم في هلع ، و (بنيامين) ورجاله يتحركون
داخل الطائرة ، ويتفرسون ملامح الجميع في صرامة
وتحفظ ..

وبصرامته وخشونته ، قال (بنيامين) :

- أول من سيتحرك منكم سيطلق رجالي النار عليه
دون إنذار ، فالرجل الذي نبحت عنه أشبه بالحرباء
يستطيع اتحال أية شخصية بدقة مذهلة .. سنستثنى
النساء والأطفال والصبية ، أما الباقون ، فعليهم إبراز
أوراقهم ، والخضوع للتفتيش ، دون أدنى اعتراض
أو مقاومة .. إنها إجراءات أمن أساسية ، تتعلق
بأمن دولة (إسرائيل) .. لا استثناءات .. لا تهاون ..
ولا رحمة .. أتعشتم أن تكونوا قد استوعبتم الأمر .

كانت الوجوه كلها شاحبة ممتعة ..

والأفواه مكحمة مكتومة ..

والجميع يطيع الأوامر بلا مناقشة ..

بل ودون حرف واحد ..

كل رجال (بنيامين) كانوا متحفزين للغاية ،
ومستعدين لإطلاق النار بلا تردد ، عند أية بادرة
للشك ..

أما (بنيامين) نفسه ، فقد وقف عند مدخل
الطائرة ، معقود الحاجبين ، صارم الملامح ، ملتهب
النظرات ، ينتظر ويتوقع أن ينكشف أمر (أدهم) في
أية لحظة ..

وأن يندلع القتال بغتة ..

وبمنتهى العنف ..

وفي كابينة القيادة ، مطّ الطيار شفتيه ، وأشار
بيده ، قائلاً في حنق :

- لأول مرة ، منذ التحقت بهذا العمل ، تقلع طائرة
(قبرص) قبل طائرتنا .

تابع مساعده الطائرة القبرصية ، وهي ترتفع عن
ممر الإقلاع ، وسط ظلام الليل ، وتمتم :

- لن يصنع هذا فارقاً كبيراً .



في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان قساً من ركاب
طائرة (قبرص) يتطلع عبر نافذتها ..

قال الطيار في غضب :
- إنها مسألة مبدأ .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان
قساً من ركاب طائرة (قبرص) يتطلع عبر نافذتها ،
وهي ترتفع في السماء ، ويسأل الجالس إلى جواره :
- عجباً ! .. لقد أقلعنا قبل طائرة (لندن) ..
المفترض ، طبقاً لجدول الإقلاع أن تسبقنا بربع ساعة
كاملة .

أجابه جاره ، وهو منشغل بمطالعة جريدة مسائية :
- سمعت أن طائرة (لندن) يتم تفتيشها .. إنها
تلك الإجراءات الأمنية الإسرائيلية السخيفة .. أنت
تعرف الإسرائيليين .. إنهم يدورون طوال الوقت في
بوتقة اسمها الأمن .

هز القس رأسه في وقار ، وداعب لحيته الكثثة ،
قبل أن يقول :

- هداهم الله إلى ما فيه الخير يا ولدى .
قالها ، واسترخى في مقعده ، وعاد يداعب لحيته
مرة أخرى ..

أو بمعنى أدق ، عاد يثبت لحيته في موضعها ..

هذا لأنه ، على الرغم من مظهره الرصين الوقور ،
وزيه المميز المعروف ، لم يكن ذلك الجالس في
طائرة (قبرص) ، التي انطلقت في رحلتها بالفعل ،
قسًا حقيقيًا ..

بل كان في الواقع رجل مخبرات ..

رجل مخبرات مصري يدعى (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

« لقد احتاط للأمر جيدًا ، فأبلغ الجميع أنه سيستقل
طائرة (لندن) ، ثم خدعنا كلنا ، وغادر (إسرائيل)
في طائرة (قبرص) .. »

نطق (رون بنيامين) العبارة في غضب هادر ،
ولوح بذراعه في عنف ، مستطرذا :

- كان ينبغي أن نوقف إقلاع كل الطائرات .

انعقد حاجبا (ديلشمسكى) ، وبدا صوته غاضبًا
محنقًا ، وهو يقول :

- إنه يعلم أن هذا مستحيل ! لا يمكنك أن توقف كل
الرحلات الجوية ، إلا في حالة اندلاع الحرب ،
وإلا فلن تكفى ميزانية (إسرائيل) كلها ، لسداد
تعويضات التأخير .

وعض شفته في غيظ ، مستطرذا :

- لقد أحسن اللعبة كالمعتاد .

قال مدير (الموساد) الجديد في صرامة :

- هل ستكتفون بالبقاء على اللبث المسكوب ، أم

أنه هناك خطوات عملية ينبغي اتخاذها !؟

قال (ديلشمسكى) في عصبية :

- إننى لم أحضر (أدهم صبرى) إلى هنا ، ولم

أكن في البلاد ، عندما فعل بالجميع ما فعل .

قال المدير في حدة :

- وهل نسيت أن الأسرار ، التي تساقطت من بين

شفتيك ، هي التي تهدد أخطر عملياتنا الآن بالفشل !؟

لوح (ديلشمسكى) بذراعه ، وهو يقول في حدة :

- لقد تصوّرت أننى أتحدّث إلى زميل .

صاح المدير في غضب :

- وحديتك هذا أفسد كل شيء .

انعقد حاجبا (ديلشمسكى) في شدة ، وهو يقول

في حزم :

- لم يفسد أى شيء بعد .

قال المدير في حدة :

- (أدهم صبرى) يعلم الآن أننا نستهدف قمرهم الصناعي ، وهذا يعنى أن المخابرات المصرية قد أدركت الأمر ، وأراهنك على أنه سينطلق على الفور إلى

قاطعه (ديلشمسكى) فى صرامة :

- إلى أين !؟

تطلع إليه المدير فى تساؤل غاضب ، فتابع فى حزم صارم :

- هذا ما أريد قوله بالضبط .. صحيح أن المخابرات المصرية تعلم أننا نسعى خلف نيلهم الفضائى ، إلا أن المعلومات التى لديهم بهذا الشأن محدودة للغاية .. كل ما يعلمونه هو ما أخبرت به رجلهم بالفعل .. أنه لدينا قاعدة صواريخ سرية ، فى مكان ما من (أمريكا الجنوبية) ، وأنها سننسف قمرهم ، من تلك القاعدة ، ولكن أين القاعدة ، ومتى سنضرب ضربتنا ، وكيف .. كل هذا يجهلونه تماما ، وعليهم أن يسعوا لمعرفة ، وهذا السعى يحتاج إلى بعض الوقت .

ثم فرقع سيابته وإبهامه ، مضيفا فى انفعال :

- وهذا ما يفتقرون إليه تماما .
انعقد حاجبا مدير (الموساد) ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويتطلع إليه فى اهتمام ، فى حين راح هو يتابع بنفس الانفعال :

- الساعة الآن الرابعة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وساعة الصفر . التى حددها الخبراء ، هى السادسة والرابع من مساء الغد ، بنفس التوقيت ، وهذا يعنى أن ما تبقى من الوقت ، هو ست وعشرون ساعة وربع فحسب ، ولو أراد المصريون أن يوقفوا صاروخنا ، فعليهم أن يحصلوا على كل المعلومات المطلوبة ، ثم يتوصلوا إلى موقع الإطلاق ، ويفلحوا فى إتلاف الصاروخ ، أو منع انطلاقه ، خلال هذه الفترة فحسب .

ثم استدار إلى المدير ، وقال فى حزم :

- هل تعتقد أنه لو كنا نحن فى موقفهم ، بكل خبراتنا وبراعتنا ، ولدينا هذا القدر الضئيل من المعلومات ، وذلك الوقت الأكثر ضالة ، هل كنا سنفلح فى منعهم .

تألقت عينا المدير ، وهو يقول :

- مستحيل !

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف في توتر :
- ولكن (أدهم صبرى) فى طريقه إلى هناك
بالفعل ، ولا يمكننا أن نشعر بالأمان ، ما دام قد دس
أنفه فى الأمر .

اشغل (ديلشمسكى) سيجارته ، وهو يقول :

- (أدهم) لم يصل إلى الهدف بعد .

سأله (بنيامين) فى لهفة :

- ماذا تعنى !؟

أجابته فى حزم :

- أعنى أننا مازلنا نمتلك نقطة تفوق إذ يمكننى ،
بواسطة طائرة نفاثة خاصة ، تنطلق بى مباشرة إلى
الموقع ، أن أصل إليه ، قبل أن يفلح (أدهم) فى
هذا .

هتف المدير فى حماس :

- بالطبع .

تابع (ديلشمسكى) فى سرعة :

- ليس هذا بحسب ، ولكننا نستطيع أن نشغل
(أدهم) هذا بصراع جانبى ، يبقىءه على الجانب
الأخر للمحيط ، حتى ننفق قمرهم نسفاً .

سأله المدير :

- وكيف هذا يا (يارون) !؟

نفث (ديلشمسكى) دخان سيجارته ، مجيباً :

- لقد اتصل بشركته ، يطلب إرسال طائرة خاصة
إلى (لندن) ، وهذا يعنى أنه ، إما أن يستقل طائرة ،
من (قبرص) إلى (لندن) ، ليحقق بطائرته الخاصة
هناك ، أو أن يعدل أوامره لتأتى إليه طائرته
الخاصة فى (قبرص) .

قال المدير فى حزم :

- يمكنك أن تغنى الاحتمال الثانى تماماً ؛ لأنه
سيضيع أربع ساعات إضافية بهذا الإجراء ، وهو
بحاجة إلى كل ثانية .

ألقى (ديلشمسكى) نظرة على ساعته ، قائلاً :

- عظيم .. طبقاً لساعتي ، ستهبط طائرته فى
(قبرص) ، بعد اثنتى عشرة دقيقة ، ويمكنه أن
يستقل طائرة (لندن) ، بعد ساعة واحدة من وصوله .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى حزم :

- وهذه الساعة ستكفيننا تماماً ، لنجعل (قبرص)
محطته الأخيرة .

٥ - الضربة القبرصية ..

دقَّت عقارب الساعة ، معلنةً تمام الحادية عشرة والنصف ، عندما دلف مدير المخابرات العامة المصرية إلى قاعة الاجتماعات الصغرى ، فى مبنى الأمن القومى بالجهاز ، وأشار بيده لمجموعة علماء الفضاء الذين التفوا حول مائدة الاجتماعات ، قائلاً :

- معذرة للتأخير أيها السادة ، ولكن كان ينبغى أن نحصر كل ما لدينا من معلومات ، قبل أن نجتمع معاً .
ابتسم أحد العلماء ، قائلاً :

- إنه ليس تأخيراً يا سيادة المدير .. إنها عشر دقائق فحسب .

أجابته المدير ، وهو يحتل مقعده ، على رأس مائدة الاجتماعات :

- فى عملنا لكل دقيقة ثمنها .

هتف عالم آخر فى حماس :

- سنتحول إلى دولة عظمى ، لو فكر كل منا بهذا الأسلوب .

قالها ، ونقش دخان سيجارته فى قوة أكبر ، فتألفت عينا المدير ، وهو يقول :

- أو سنمنعه من اللحاق بعمليتنا على الأقل .
ابتسم (ديلشمسكى) ، قائلاً :

- بالضبط .

وهنا ، ابتسم (بنيامين) فى ظفر ، وانتقلت عدوى ابتسامته إلى (ديلشمسكى) والمدير ، فى لحظة واحدة ..

فلقد أدرك الثلاثة أنهم قد وضعوا (أدهم صبرى) فى خانة صعبة للغاية ..

خانة لا سبيل للخروج منها سوى بالفشل ..
أو الموت .

* * *



غمغم المدير :

- بالتأكيد .

ثم اعتدل ، مستطرذا بصوته القوي :

- ولكن هذا ليس موضوعنا الآن أيها السادة ،
فالواقع أننا لم نطلب استدعاءكم على وجه السرعة ،
في هذه الساعة المتأخرة ، إلا لأنه لدينا أمر يحتاج
إلى مشورتكم وعلمكم بشدة .

قال الجميع في حماس :

- وكلنا رهن إشارة الوطن .

قال المدير في حزم :

- وهذا ما يتوقعه الوطن منكم يا سادة .

ثم تنهّد ، وشدّ قامته ، قبل أن يضيف في حزم :

- الواقع أيها السادة أنه هناك مؤامرة ؛ للنيل من
قمرنا الصناعي (نايل سات) .

اتسعت عيونهم في دهشة وارتياح ، وسرت بينهم
همهمة عصبية ، قبل أن يقول أحدهم في غضب :

- وهذه المؤامرة إسرائيلية بالطبع .. أليس كذلك ؟!

أوما المدير برأسه إيجابياً ، ثم قال في حزم ، قبل
أن يسرى التوتر والغضب بينهم مرة أخرى :

- ولكن دعونا لا نضيع الوقت في تقييم موقفهم
منا ، ولنبتعاون جميعاً ؛ لإفساد مؤامرتهم .

هتف عالم من علماء الفضاء في حماس حقيقي :
- حياتنا فداء للوطن .

أجابته المدير :

- الوطن يحتاج اليوم إلى عقولكم وعلمكم فحسب .
ثم نهض إلى خريطة العالم ، التي تحتل الحائط
خلفه بأكمله ، وهو يتابع :

- ما لدينا من معلومات ، يؤكد أن الإسرائيليين
سيستخدمون صاروخاً ، يتم إطلاقه من مكان ما ، في
(أمريكا الجنوبية) ، بحيث ينسف قمرنا في مداره ،
وأن هذا سيتم في مساء الغد أو بعد الغد على
الأرجح ، ثم إن موقع الإطلاق يقع في منطقة بعيدة
عن (بوليفيا) ، والعملية برمتها ستتكلف عشرة
ملايين دولار .

وتنهّد ، قبل أن يضيف :

- وهذا ، للأسف ، كل ما لدينا من معلومات .

قالها ، فسيطر الصمت على المكان بعض الوقت ،
قبل أن يقطعه أحد العلماء مغمغماً في توتر :

- أتسمى هذه معلومات يا سيادة المدير !!

أجابه المدير في ثقة :

- بالتأكيد ، وخاصة مع فريق من علماء الفضاء والاتصالات مثلكم ، فأنتم تعرفون مدار (نايل سات) بالتحديد ، وتعلمون أين سيكون مساء الغد ، أو بعد الغد ، وبقليل من الدراسة ، يمكنكم تحديد الموضع المناسب ، لإطلاق صاروخ عليه ، من قلب (أمريكا الجنوبية) .

قال عالم آخر :

- ولكن (أمريكا الجنوبية) قارة كاملة .

أجابه المدير في حزم :

- إلا إذا استثنينا منها الأماكن القريبة من (بوليفيا) ، والأماكن التي يستحيل إطلاق الصاروخ منها .

قال ثالث :

- هذا لو عرفنا نوع الصاروخ ، ووسيلة إطلاقه .

أشار المدير بسبابته ، مجيباً :

- إنه صاروخ يحتاج إلى قاعدة إطلاق كاملة ، ويبلغ ثمنه ، مع تكلفة بناء القاعدة ، وكل ما يحيط بها من سرية ، عشرة ملايين دولار .

تبادل العلماء نظرة دهشة وانبهار ، قبل أن يقول أحدهم :

- هل تعلم يا سيادة المدير .. أسلوب تفكيركم هنا يتبع المنهج العلمي بدقة وبراعة مدهشتين !! إنكم تجمعون عشرات المعلومات البسيطة ، ثم تصنعون منها معلومة بالغة الأهمية والخطورة .

أشار المدير بيده ، قائلاً :

- بالضبط .. وها هي ذى معلوماتنا البسيطة بين أيديكم .. أضيفوا إليها علومكم الغزيرة ، ومعارفكم الواسعة ، واخرجوا لنا بأجوبة علمية واثقة ، لكل ما نسعى إلى معرفته .. نريد إجابات لأسئلة محدودة .. ما نوع الصاروخ ، الذي سيستخدمه الإسرائيليون ، لإسقاط قمرنا؟! ما أفضل موقع لإطلاقه ، في (أمريكا الجنوبية)؟! ومتى؟! نريد هذه الإجابات ، في أسرع وقت ممكن .

سأله أحد العلماء في اهتمام :

- أديكم جدول زمني خاص؟!

أجابه المدير في حزم :

- في أسرع وقت ممكن يا سيدي .

كان الجواب حاسماً باتراً ..

والموقف شديد الوضوح ..

وشديد الخطورة ..

إلى حده الأقصى ..

* * *

ألقى (رون سيلمان) ، رجل (الموساد) في

(قبرص) نظرة هادئة على ساعته ، وهو يجلس

مسترخياً في سيارته ، أمام مطار (ليماسول) ،

وراحت أصابعه تضرب أزرار جهاز الكمبيوتر النقال ،

الذي يضعه على ركبتيه ، وهو يقول للرجال الثلاثة

ضخام الجثة ، الذين يجلسون في السيارة نفسها :

- خمس دقائق ، وتهبط الطائرة القادمة من (تل

أبيب) ، وتلتقي أخيراً بذلك المصري الأسطورة ،

الذي يتحدث عنه الجميع في ابهار عصبى .

غمغم أحد الرجال الثلاثة ، في شيء من الحذر :

- يقولون إنه أثار جنون الجميع في (تل أبيب) ،

حتى رئيس الوزراء نفسه ، دون أن ينجحوا في إلقاء

القبض عليه .

وقال آخر في سرعة ، وكأنما يخشى أن تفوته

فرصة التحدث :

- لقد أخرج أسيراً من البيت الكبير .

مط (سبيلمان) شفتيه ، وهو يغمغم :

- أمر طبيعى ، فالكل هناك حمقى ، يرقلون في

الترف ، إلى الحد الذى أساهم القدرة على القتال .

ثم عاد يضرب أزرار الكمبيوتر ، قبل أن يلوح بيده ،

مستطرداً :

- هل تعلمون .. لو سألكم أحدهم عن أعظم

اختراعات القرن العشرين ، فهي شبكة (الانترنت)

بلا منازع .. لقد جعلت العالم كله في متناول أيدينا ،

فعبورها نتلقى كل الأوامر العاجلة ، وبوساطتها يمكننا

أيضاً مراجعة بيانات وصور كل ركاب الطائرة ،

القادمة من (تل أبيب) ، قبل أن تمس إطاراتها

أرض المهبط .

ولوح بسبابته ، مضيفاً في هدوء عجيب ، لا يخلو

من رنة زهو وغرور :

- ويستخدم برنامج من برامج الرسوم ثلاثية

الأبعاد ، التى تطورت كثيراً فى الأعوام الأخيرة ،

يمكننا مقارنة تركيب وجوه الجميع ، مع تركيبه وجه

(أدهم صبرى) هذا ..

سأله الثالث مبهوراً :

- هل يستطيع الكمبيوتر حقاً أن يفعل هذا ؟!

ابتسم (سبيلمان) فى سخريه ، وهو يجيب :

- هذا يحتاج إلى محترف .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مضيفاً :

- مثلى .

نطقها بمنتهى الزهو والغرور ، حتى إن الرجال الثلاثة قد تبادلوا نظرة صامتة ساخرة ، قبل أن يقول أحدهم :

- ها هي ذى الطائرة .

تابع (سبيلمان) ببصره هبوط الطائرة ، وتسارعت ضربات أصابعه ، على أزرار الكمبيوتر النقال ، الذى راح يقارن بين وجه (أدهم) ، ووجوه كل ركاب الطائرة ، قبل أن تظهر على شاشته عبارة تقول :

- لا توجد حالة تطابق واحدة ، ولكن هناك ثلاثة

احتمالات .

ثم ارتسمت على الشاشة ثلاثة صور ، تطلع إليها

(سبيلمان) فى اهتمام ، مغمغماً :

- تاجر أحذية ، وقس ، وجنرال سابق .. ترى

أيهم أنت يا سيد (أدهم) ؟!

سأله أحد الرجال الثلاثة :

- هل نقتل ثلاثتهم يا أدون (سبيلمان) ؟!

أجابه (سبيلمان) ، وهو يواصل العمل على برنامج به سرعة أكبر :

- هذا يبدو لى حلاً لطيفاً ومريحاً ، ولكن مشكلته

أنك لو خطوت خطوة واحدة خاطئة ، فستمنح السيد

(أدهم) فرصة مثالية لإستغلال هذا ، والتحرك

بسرعته وبراعته المعهودتين ، ليضيف اسمى إلى

أسماء كل من هزمهم وسخر منهم ، من رجال

مخابراتنا .

واتعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

- وأنا مصرّ على ألا يحدث هذا قط .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة مفعمة بالحيرة هذه

المرّة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى حذر شديد :

- ماذا سنفعل إذن يا سيدي ؟!

هزّ (سبيلمان) كتفيه ، مجيباً :

- لقد طلبت من الكمبيوتر أن يجرى فحصاً أكثر

دقة وتقدماً ، على الرجال الثلاثة ، الذين وقع عليهم

اختياره فى المرة الأولى .

غمغم آخر ، فى شىء من العصبية :
- وماذا عنا ؟!

أجاب فى صرامة ، وكأنما لا يروق له أن يناقشه
أحد :

- انتشروا فى المطار ، وراقبوا الرجال الثلاثة ،
الذين يطبع الكمبيوتر صورهم الآن .. كل منكم يحمل
جهاز الاتصال الخاص به ، وعندما أتوصل إلى هويته
الحقيقية ، سأبلغكم بالأمر ، لتتقضوا عليه على الفور .
بدا وكأن هذا الجواب قد أراحهم ، فقد فتح ثلاثتهم
أبواب السيارة فى آن واحد ، وأحددهم يقول :
- عظيم .

ناولهم (سبيلمان) تلك الصور ، التى طبعها عبر
الكمبيوتر ، وهو يقول فى حزم :
- اكتفوا بالمراقبة ، وإياكم أن تتحركوا ، قبل أن
أحدد الهدف .. هل تفهمون ؟!
غمغم ثلاثتهم فى آن واحد :
- بالتأكيد .

ثم اتجهوا إلى المطار ، وراحوا يراقبون صالة
الجمارك والوصول ..

كان ركاب الطائرة الإسرائيلية ينهون إجراءاتهم ،
عندما تقدم (أدهم) ، فى زى القس الإنجليزى ، إلى
أحد ضباط الجمارك ، قائلا :
- معذرة يا ولدى .. لست أحمل أية حقائب ،
ولكننى فى انتظار طائرة خاصة ، فما الذى يمكن
فعله ، حتى تصل إلى هنا ؟!

أجاب الضابط فى احترام بالغ :
- يمكنك أن تفعل كل ما يحلو لك يا أبتاه .. هناك
صالة انتظار ، ومقهى كبير ، كما أن تأشيرتك تبيح
لك التجول فى نيقوسيا ، حتى تصل طائرتك .
ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى وقار ، يتناسب مع
الزى الذى يرتديه :

- أشكرك يا ولدى .. أشكرك كثيرا .
قالها ، وراح يجول فى المكان فى هدوء ، وعقله
يعاود دراسة الموقف كله للمرة العاشرة أو الخامسة
عشرة ..
لقد نجح فى خداع الإسرائيليين ، وأعوأتهم فى
مؤسسته ، عندما طلب إرسال طائرة خاصة ، لتحملة
من (لندن) ..

اتصاله هذا وجه أنظارهم إلى طائرة (لندن) ،
وهي الاختيار المنطقي ، لمن يرغب في بلوغ (أمريكا
الجنوبية) ، بأسرع وسيلة ممكنة ، في حين استقل
هو طائرة (لارناكا) بكل هدوء وبساطه ، وعلابهم
المسعورة تنقُض في شراسة ، على طائرة (لندن) ..
وها هو ذا الآن في (قبرص) ..

ومن المؤكد أنهم يعلمون هذا ..

وأنهم قد اتخذوا كل ما يمكنهم من إجراءات ؛
لإبقائه فيها ، ومنعه من استكمال رحلته ..

بأي ثمن ..

أي ثمن ..

ومن المؤكد أيضًا أن رجالهم في (لندن)
سينتظرون وصول طائرة مؤسسة (أميجو) ..

وسيمنعونها من إكمال رحلتها أيضًا ..

ولهذا طلب من (القاهرة) أن ترسل إليه طائرة
خاصة ..

طائرة تصلح لرحلة طويلة عبر المحيط ..

رحلة إلى (أمريكا الجنوبية) ..

إلى مكان ما من (أمريكا الجنوبية) ..

إلى هدف لم يتحدد ..

بعد ..

كانت الأفكار تعدو في عقله ، وعيناه تجوبان
المكان ، بحثًا عن رجال (الموساد) ..

ورصدت عيناه واحدًا ..

وثانيًا ..

وثالثًا ..

وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة ، وهو

يتساءل في أعماقه : ترى هل ينتقى (الموساد)

رجالهم من طراز تقليدي ، أم أن خبرته الطويلة ، هي

التي جعلت من السهل عليه أن يميزهم ، وسط أشد

المناطق زحامًا ، واختلاطًا بالأجناس ..

كان يراقبهم بدوره ، عندما التقط ثلاثتهم أجهزة

اتصالاتهم في آن واحد ، واستمعوا إليها في اهتمام

بالغ ، انعقد له حاجباه ، وهو يتمتم :

- يبدو أن لحظة المواجهة قد حانت ..

لم يكذب يتم عبارته ، حتى التفت ثلاثتهم إليه ، في

آن واحد ، وأطلق الشر ، كل الشر من عيونهم ،

فانقبضت عضلات (أدهم) ، وتمتم في سخرية :

- ترى ماذا سيكون رد فعل رواد المطار وضباط
الجمارك ، عندما يشاهدون قسنا وقورا ، يقاتل ثلاثة
من الأوغاد ، وكأنهم جميعا في حلبة مصارعة !؟
نم قبضتيه ، واستعدت كل خلية في جسده للقتال،
و ...

ولكن فجأة ، استر الثلاثة مسدساتهم ، وانطلقوا
نحوه ..

كانت مبادرة جنونية عجيبة للغاية ..

وأسلوب يشف عن أن الإسرائيليين قد تلقوا أمرا
بالقضاء عليه ، مهما كان الثمن بالفعل ..

حتى ولو كان مذبحه ، في قلب مطار (ليماسول) ..
وقبل أن تتواصل أفكاره ، انطلقت صرخة من
إحدى النساء في المطار ، عندما وقع بصرها على
الرجال الثلاثة ومسدساتهم ..

ومع صرختها ، وكرد فعل تلقائي ، ضغط
الإسرائيليون الثلاثة أزرعة مسدساتهم الضخمة ..

وانطلقت الرصاصات تدوى في مطار (لارناكا)
من طرف واحد ..

وبدأت المذبحة ، التي توقعها (أدلم) ..
وبعنف ..

* * *

« نداء على كل الموجات ، إلى الهليكوبتر مجهولة
الهوية .. أنت تقترب من منطقة خاصة ، ومجال
جوى محظور اختراقه .. هذا تحذير واحد وأخير ..
سيتم قذفك بالصواريخ الموجهة ، فور دخولك المجال
الخاص بنا .. حذد هويتك ، وابتعد على الفور » .

تردد النداء بالإسبانية ، داخل الهليكوبتر الصغيرة ،
التي تحلق على ارتفاع منخفض ، فوق الغابات
المحيطة بمدينة (كوماتا) الفنزويلية ، فارتسمت
ابتسامة ساخرة ، على المرأة الجميلة ، التي تجلس
إلى جوار قائد الهليكوبتر ، وهي تلتقط بوق جهاز
الاتصال ، قائلة باللغة نفسها :

- إيه أنا يا (دوناهيو) .. مسر (فلورانس) ..
كلمة السر الآن هي (جواتا) .. استعدوا لهبوط
طائرتي .

أناها صوت الإسرائيلي ، وهو يهتف في دهشة :

- (كلارا) !؟ ما الذى أتى بك الآن؟! المفترض
أن تبلغينا قبل قدومك .
أجابته فى غضب صارم :
- استعدوا لهبوط طائرتى يا (دوناهيو) ، وإياك
أن تتحدثت معى بهذا الأسلوب مرة أخرى .. هل تفهم؟!
قالتها ، وأنهت الاتصال فى عنف ، فسألها الطيار
فى توتر :

- والآن ماذا سنفعل يا سيدتى !؟

أجابته فى صرامة ، وهى تشعل سيجارتها :

- كما تفعل فى كل مرة .. سنهبط وسط القاعدة .

شعر الطيار بالقلق ، وهو يخترق المجال الجوى
المحظور ، ويتجه نحو القاعدة مباشرة ، وخيل إليه
فى كل لحظة ، أن صاروخاً موجهاً سينطلق بغتة ،
ليسحقه مع طائرته سحقاً ..

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، على الرغم من
غضب (دوناهيو) واعتراضه ..

لقد هبطت الهليكوبتر فى سلام ، وسط القاعدة
السرية ، التى تخفى وسط الأحراش والمستنقعات ،
ولم تكذب (كلارا) تغادرها ، حتى اندفع نحوها
(دوناهيو) ، هاتفاً :

- (كلارا) .. هذا التصرف غير مفهوم ، وغير
مقبول على الإطلاق .. أنت تعلمين أن الأوامر الجديدة
تضاعف من صرامة وشدة إجراءات الأمن ، وطبقاً
لها ، كان ينبغى أن أنسف طائرتك بأحد صواريخنا ،
ما دمت لم أتلق إخطاراً مسبقاً بقدومك .
دفعته جانباً ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى
وجهه ، قائلة :

- أنا أعلم الأوامر الجديدة ، ولكنك تجهل التطورات

الأخيرة .

نجحت عبارتها فى تفتيت غضبه ، وتحويله إلى
قلق واضح ، وهو يسألها :

- أية تطورات أخيرة !؟

لم تجب تساؤله المتوتر مباشرة ، وهى تتجه فى
خطوات واسعة سريعة ، إلى مبنى قيادة القاعدة ،
حتى دخلت إلى المبنى ، وجلست على أفضل مقعد فيه ،
ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تقول :

.. (أدهم صبرى) ظهر فى الصورة .

خيل إليها أن الدماء قد اختفت من وجهه بغتة ،
وهو يردد :

- (أدهم صبرى) ؟ وكيف !؟

قاطعته ، وقد راق لها ما أحدثته به من تأثير :

- رئيسك الأحمق كشف له العملية ، دون أن يدري .

جلس (دوناهيو) على أقرب مقعد إليه ، دون أن

يدري ، وهو يتمتم :

- مستحيل !

روت له ما لديها باختصار ، وهى تنفت دخان

سيجارتها فى وجهه ، حتى انتهت من حديثها ، فغمغم

محنقا :

- لهذا قرر (ديلشمسكى) العودة بطائرة خاصة .

سألته فى اهتمام :

- هل سيفعل حقا ؟!

التفد حاجباه ، وكأنما اتبته إلى زلة لسانه ، فقال

فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك يا (كلارا) .

ثم نهض فى حدة ، مستطرذا :

- صحيح أنك أفضل من يتعاون معنا ، والرؤساء

يوصون بك خيرا ، ويتفقون بك كثيرا ، ولست أدرى

لماذا ، ولكن هذا لا يمنحك الحق فى دس أنفك فى

شئوننا على هذا النحو .

قالت فى غضب :

- دس أنفى ؟!

ثم هبت من مقعدها ، وواجهته فى صرامة

غاضبة :

- ألم يخبرك رؤسائك أننى شريك كامل ، فى هذه

العملية بالذات ؟!

ألم يبلغك أدهم أن نصف تكاليف العملية بالكامل ،

حصلتم عليه منى ؟!

قال فى حدة :

- حتى هذا لا يمنحك الحق فى التدخل ، ما دامت

عجلة الأمور قد دارت بالفعل . . فننذ اللحظة التى

نتسلم فيها العمل ، لا يجوز لأحد غيرنا الحق فى

التدخل ، أو إصدار الأوامر ، أو ، وأنا أكررها عاما ،

دس أنفه فى شئوننا . . ومرة أخرى أقولها . . لا أحد

له حق دس أنفه فى شئوننا ، حتى الصمولين لكل

أعمالنا .

رمقته بنظرة غاضبة ، وهى تنفت دخان سيجارتها

فى عصبية ، دون أن تعلق على عبارته ، فتابع فى

صرامة :

- إنها عملية كبرى يا جميلتى .. عملية لا تهدف
إلى مجرد تدمير قمر صناعى عربى فحسب ، ولكن
هدفها الأسمى هو تحطيم الحلم المصرى بالتفوق ،
وبالحاق بركب القرن القادم ، وفى مثل هذه الأمور
تتلاشى كل الأصوات ، سوى صوت واحد .. مصلحة
وأمن (إسرائيل) .. هل تفهمين !؟

التقت عيونهما لحظة فى تحد ، قبل أن تقول هى
فى بطء :
- بالتأكيد .

ثم ألقت سيجارتها بطول ذراعها ، وهى تستطرد :
- إننى أفهم الأمور أكثر مما تتصور .. وربما أكثر
مما تفهمها أنت ، كرجل مخابرات عادى ، كل مهمته
تنفيذ ما يأمره به رؤساؤه .

أجابها فى تحد :
- هذا يكفينى .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، وهى تقول :
- بالطبع .. كل يكتفى بما يناسبه .

ثم عادت تجلس على مقعدها ، وتضع إحدى
ساقيهما فوق الأخرى ، وتشعل سيجارة أخرى ، قائلة :

- والآن ، هل سأقطع كل هذه المسافة ، دون أن
أحظى بكأس شراب على الأقل .

رمقها بنظرة شك ، وهو يسألها :
- هل سيكفيك هذا يا (كلارا) !؟
ابتسمت ، قائلة :

- ما دمت لن أحصل على المزيد .
ظل يرمقها بنظرة الشك يضع لحظات أخرى ، ثم
لم يلبث أن قال فى حزم :

- فليكن يا (كلارا) .. كأس واحدة ، وترحلتين
على الفور .

نفثت دخان سيجارتها فى بطء مستفز ، قبل أن
تقول :
- اتفقنا .

عاد يرمقها بنفس النظرة ، وكأنما لا يروق له ،
أو لا يستطيع استيعاب هدونها واستسلامها المباغت ،

ثم مال ليلتقط زجاجة شراب ، موضوعة إلى جوار
أجهزة التحكم الإلكتروني ، فهزت رأسها ، قائلة :

- ليس هذه الزجاجة .. إننى لا أشرب قط من
زجاجة مفتوحة .. أريد واحدة جديدة .

قال في حدة :

- ليس لدينا الكثير هنا .

ابتسمت في خبث ، قائلة :

- سأكتفى بواحدة من الزجاجات ، التي تخفيها

تحت فراشك .

ارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، وهو يهتف :

- وكيف علمت بأمر تلك الزجاجات ؟!

أطلقت ضحكة عالية طويلة ، قبل أن تلوح بيدها

في أناقة ، قائلة :

- ألم أقل لك : إنني أعلم الكثير ؟!

العقد حاجباه في توتر ، وعاد يتفحصها بنظرة شك

طويلة ، قبل أن يقول في بطن حذر :

- فليكن يا (كلارا) .. كأس واحدة وترحلين .

هزت كتفيها ، وأشارت برأسها علامة الموافقة ،

فتعمت :

- وبأسرع ما يمكن .

ابتسمت ابتسامة باردة ، فغادر المكان في خطوات

سريعة ، لإحضار واحدة من الزجاجات من غرفته ،

وتابعته هي ببصرها في هدوء ، حتى اختفى تمامًا ،

فغمغمت في مقت :

- أيها الوغد .

ثم نهضت من مقعدها في خفة ، والتقطت من بين

ثيابها أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، وهي تضغط زرًا في

جهاز التحكم الرئيسي ، متابعة :

- هناك شيء ينبغي أن تعلمه عن (كلارا فلورانس)

أيها الحقير .

ومع ضغطة الزر ، انفتح جزء من جهاز التحكم

الرئيسي ، وبدت داخله أسطوانة مدمجة ، تشبه تمامًا

التي التقطتها من ثيابها ، فأسرعت تبديل الأسطوانتين ،

فوضعت الأسطوانة التي أحضرتها ، في جهاز التحكم

الرئيسي ، وأخفت الأخرى في ثيابها ، وعادت بسرعة

وخفة إلى مقعدها ، مكملة :

- أنني لا أرضى سوى بالتحكم التام في الأمور ..

التحكم التام .

لم تكذب عبارتها ، حتى برز (دونا هيو) ،

حاملًا زجاجة الشراب ، فالتسعت ابتسامتها وهي

تستقبله ، وتنفث دخان سيجارتها مرة أخرى في

وجهه ..

وفي هذه المرة ، تحولت ابتسامتها إلى ضحكة ..

ضحكة طويلة ساخرة ، حملت كل استهتارها ..
وثقتها ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التي استلّ فيها الإسرائيليون
الثلاثة مسدساتهم ، أدرك (أدهم) أن المكان
سيتحول ، فى لحظة واحدة ، إلى ساحة قتال عنيفة ..
وأن الضحايا سيتساقطون بالعشرات ..
وستسيل الدماء البرينة ..
لذا ، فقد تحرك (أدهم) بسرعة ..
وعندما نصف تحرك رجل مثل (أدهم صبرى) ،
بأنه تحرك سريع ، فهذا يعنى أنه قد انطلق كالريح ..
كالعاصفة ..

أو بمعنى أكثر دقة ، كالإعصار ..

ففى لحظة واحدة ، دفع المرأة التى تجاوره بعيدًا ؛
ليحميها من الرصاصات ، ثم انحنى يلتقط حقيبة
كبيرة ، ويلقيها نحو الإسرائيليين الثلاثة ، قبل أن
يثب جانبًا ؛ لتفادى نيرانهم ..

وانطلقت الرصاصات ..

وأصيب أحد ضباط الجمارك ، ولقى شيخ إيطالى

مصرعه ، وسقطت سيّدة فرنسية مصابة برصاصة
فى ظهرها ..

وانطلقت الصرخات فى كل مكان ..

واتسعت العيون فى ذهول ..

ذهول مزدوج ..

فوسط النيران والرصاصات والصراخ ، أدرك
الجميع أن هؤلاء العمالقة الثلاثة ، الذين ينطلقون
كالثيران الهانجة ، ويطلقون النار كالمطر ، إنما
يقصدون ذلك القس الكهل ، الذى امتزج بياض لحيته
بسوادها ، وحمل كل الهيبة والوقار ..

والمذهل أكثر ، أن ذلك القس لم يقف ساكنًا ..

لقد تحرك بسرعة وخفة ، لا تتناسبان مع هيبته
وهيبته قط ..

لقد وثب جانبًا ، وانزلق على الأرضية المصقولة ،
ليختطف قدحًا فخاريًا ، سقط مع الذعر والفوضى ،
وألقيه بخل قوته ، نحو أحد الرجال الثلاثة ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها القدح بأنف
الإسرائيلى ، وانتزعه من مكانه ، ليلقى به أرضًا فى
عنف ، كان (أدهم) يقفز واقفًا على قدميه ، ثم يثب



واخترقت إحدى رصاصاته ذراع (أدهم) اليسرى ، قبل أن
ينقضّ هذا الأخير على الإسرائيلي بكل قوته ..

(م ٩ - رجل المستحيل عدد ١٢٥ (عملية النيل))

ليضع قدمه اليسرى على السور القصير ، الذي يفصل
المنطقة الجمركية عن صالة الوصول ، ويدفع السور
بكل قوته ، ليثب مرة أخرى كالفهد ، نحو الإسرائيلي
الثاني ..

وأطلق الإسرائيلي النار ، وهو يتراجع في دهشة ..
واخترقت إحدى رصاصاته ذراع (أدهم) اليسرى ،
قبل أن ينقضّ هذا الأخير على الإسرائيلي بكل قوته ،
ويكيل له لكمة كالقنبلة ، حطمت أنفه تحطيمًا ..
وسقط العملاق الإسرائيلي ، ثم لم يلبث أن هبّ
واقفا في سرعة ، على الرغم من الدماء ، التي تسيل
من أنفه في غزارة ، وتفرق فمه ولحيته ، وارتفعت
فوهة مسدسه مرة أخرى نحو (أدهم) ، الذي هتف ،
وهو يقبض على معصمه بكل قوته :

- انهوض لا يعنى الفوز دائما يا هذا ..

لكمه الضخم بكل قوته ، ولكن (أدهم) تفادى
اللكمة ، وهوى على معدته بلكمة قوية ، في نفس
اللحظة التي نهض فيها الإسرائيلي ، الذي أسقطه
القدح الفخاري ، واندفع مع زميله نحو (أدهم) ،
وهما يطلقان رصاصات مسدسيهما بلا توقف ..

كان الجميع قد اتبطحوا أرضاً ، وهم يصرخون أو يتوسلون ، فيما عدا (أدهم) ، والإسرائيليون الثلاثة ، ورجال أمن المطار ، الذين سحبوا مسدساتهم بدورهم ، واندفعوا في محاولة للسيطرة على الموقف .. ولم يكن هناك سوى سبيل واحد ، ليتفادى (أدهم)

سبل النيران ، الذي ينهمر عليه كالمطر ..

على الرغم من أنه يبغض هذا الأسلوب ..

لقد لوى ذراع الإسرائيلي ، الذي يشتبك معه ، ثم أداره في قوة ؛ ليصنع منه درعاً ، في مواجهة رصاصات زميليه ..

وانتفض جسد الإسرائيلي الضخم ، عندما تلقى جسده كل رصاصات زميليه ، وانطلقت من حلقه صرخة ألم مذعورة ، قبل أن يتراخي جسده كله .. ولكن (أدهم) لم يفلته ..

لقد ظل ممسكاً به ، ودفع جسده الضخم أمامه ، وهو يندفع به نحو الآخرين ، اللذين واصلوا إطلاق النيران ، غير عابئين بتمزق جسد زميلهما ، الذي يحتمى به (أدهم) ..

وصرخ أحد رجال الأمن ، في هذه اللحظة :

- توقفوا وإلا ..

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما استدار إليه أحد الضخمين ، وأطلق عليه رصاصاته ، التي اخترقت جسده ، واقتلعت من مكانه ، لتلقى به فوق زملائه ، الذين تفجّر غضبهم ، فانطلقت رصاصاتهم بدورهم ..

وتحوّل المكان ، في لحظة واحدة ، إلى جحيم من النيران ..

جحيم حقيقي ، تتطاير فيه الرصاصات في كل صوب ، وتتطلق فيه صرخات عشرات الأبرياء المذعورين ..

والعجيب أن ذلك الثور ، الذي يمسك به (أدهم) ، كان قد لقي مصرعه ، ولكنه ما زال يمسك مسدسه في قبضته ، لذا فقد اختطفه منه (أدهم) ، وراح يطلق رصاصاته بدوره ..

وأطاحت رصاصاته بمسدس أحد الرجلين ، ولم يكف هذا يحدث ، حتى حصدت رصاصات رجال الأمن الرجل ، وألقته جثة هامدة ، فاتحني زميله في سرعة ، وجذب امرأة شابة من شعرها ، وصنع منها درعاً أمامه ، وهو يصرخ :

- سأقتلها .. أقسم أن أنسف رأسها، لو خطأ أحدكم خطوة زائدة .

كانت المرأة تصرخ في رعب هائل ، حتى إن النيران كلها قد توقفت بغتة ، وبدا القلق والتوتر على وجوه الجميع ، وألقى (أدهم) جثة الإسرائيلي الضخم ، وهو يقول في صرامة :

- اترك المرأة أيها الوغد .. القتال بيننا فحسب .

نطقها باليونانية ، وبلهجة سليمة تماما ، جعلت رجال أمن المطار يتبادلون نظرة دهشة ، قبل أن يهتف أحدهم به :

- أنت لست قسًا يا هذا !! من أنت بالضبط !؟

كان الجانب الأيسر من لحية (أدهم) قد تدلى ، مع عنف القتال ، فانتزعها ، وألقاها جانبًا ، وهو يجيب في صرامة واقتصاب :

- صديق .

تبادل رجال الأمن نظرة دهشة أخرى ، امتزجت بالكثير من الشك هذه المرة ، في حين هتف الإسرائيلي في عصبية ، وهو يجذب المرأة في قسوة أكثر :

- ألق سلاحك .

قال (أدهم) في هدوء عجيب ، لم يخل من الصرامة :
- وماذا بعد أن أفعل !؟ هل ستطلق النار على مباشرة !؟

تألقت عينا الإسرائيلي في وحشية ، وهو يقول في شراسة :

- إننا نعرف الكثير عنك أيها المصري .. إنك لن تسمح بقتل امرأة بريئة قط ، حتى ولو كان الثمن هو حياتك .. إنها نقطة ضعفك الوحيدة .. ستدفع حياتك بمنتهى الحماسة ، ثمنا لحياة امرأة مجهولة !

اتعقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، وهو يقول :

- اترك المرأة يا هذا .

ابتسم الإسرائيلي ، وهو يرفع مسدسه نحو (أدهم) ، قائلا :

- بل اترك أنت الحياة أيها المصري .

نطقها ، وهو يجذب المرأة إليه في قوة ، ليصنع منها درعا يحميه ، ثم ضغط زناد المسدس ، وهو يصوبه نحو (أدهم) تماما ، و .. وأطلق النار .

★ ★ ★

٦- الهدف ..

بذل (يارون ديلشمسكى) جهدًا حقيقيًا ، فى محاولة للاسترخاء ، داخل الطائرة الخاصة ، التى تنطلق به ، من (تل أبيب) إلى (كراكس) ، عاصمة (فنزويلا) ، إلا أن كل محاولاته ذهبت سدى ، مع ذلك التوتر الشديد ، الذى يشعر به فى أعماقه ، وهو يتذكر ما فعله به (أدهم) فى (تل أبيب) ، وما يمكن أن يفعله ، لو توصل إلى موقع قاعدة الإطلاق السرية فى (كوماتا) ..

صحيح أنه لم يلتق بـ (أدهم) قط ، إلا فى هذه المرة ، إلا أنه يعلم جيدًا ، أن وصول (أدهم) إلى (كوماتا) سيهدد المهمة كلها بالفشل ..

بل بالدمار ..

لقد قرأ الكثير مما فعله (أدهم) من قبل ..

وشاهد بنفسه ما أصاب كل من تصدى له ..

وآخرهم (دافيد) و (جولدمان) اللذين كان

الجميع يعتبرونهما أسطورة (الموساد) ..

وها قد حان دوره ..

صحيح أن رؤساءه يعتبرونه واحدًا من أخطر ضباط (الموساد) ، إلى الحد الذى جعلهم يسندون إليه عملية النيل .. أكبر وأخطر عملياتهم ، فى القرن العشرين ، إلا أنه يدرك جيدًا أن (أدهم) ليس بالخصم السهل ..

تاريخه يؤكد هذا ، وبصمته التى وضعها على أخطر أجهزة المخابرات ، وأقوى منظمات الجاسوسية والإجرام تعلن هذا بكل وضوح ..

وهو أيضًا يرغب فى المحافظة على تاريخه ..

إنه لم يفشل فى مهمة واحدة ، منذ تسلم عمله فى (الموساد) ..

وسيقا تل بكل عنف وشراسة ، حتى يواصل انتصاراته ..

حتى فى وجود خصم مثل (أدهم) ..

وفى عصبية ، نهض من مقعده ، وافتحم كابينة القيادة ، وهو يقول للطيار ومساعدته فى حزم وصرامة :

- أريد إجراء اتصال لاسلكى .

أجابه الطيار فى هدوء :

- هذه طائرة خاصة ، وستجد هاتفًا إلى جوار مقعدك .

عاد إلى مقعده في سرعة ، والتقط ذلك الهاتف اللاسلكي الخاص ، وضرب أزراره في سرعة ، ولم يكذب يسمع صوت محدثه ، حتى قال في صرامة :

- أنا (ديلشمسكى) .. كيف الحال عندك يا (سبيلمان) ؟!

أجابته (رون سبيلمان) ، من داخل سيارته ، أمام مطار (لارناكا) :

- أهلاً يا (ديلشمسكى) .. لقد توصلت إلى الهوية، التي تتكبر فيها ذلك المصري ، ورجالنا يتولون أمره الآن .

أجابته (ديلشمسكى) في حدة :

- قول يتناسب مع زعيم شرزومة من البلطجية ، وليس رجل مخابرات محترف يا (سبيلمان) .. أريد تقريراً رسمياً واضحاً .

سأله (سبيلمان) في ضيق :

- ماذا تريد بالضبط يا (ديلشمسكى) ؟!

أجابته في غضب :

- أريد معرفة الموقف بالضبط .

قال (سبيلمان) ، وقد تسللت العصبية إلى صوته :
- الموقف هو أن طائرة (تل أبيب) قد وصلت بالفعل ، وبرنامج الكمبيوتر الخاص بي أمكنه تعرف المصري ، على الرغم من تنكره ، ولقد أرسلت الموجة الأولى من رجالى إليه بمهمة محدودة ، ألا وهي القضاء عليه تماماً ، بأى ثمن كان ، وها هو ذا دوى الرصاصات يتردد داخل المطار ، ويمكنك أن تسمعه بنفسك .

قالها ، وفرد ذراعه عن آخرها ، لينقل هاتفه المحمول دوى الرصاصات إلى (ديلشمسكى) ، الذي قال في صرامة :

- هذا لا يعنى شيئاً .

قال (سبيلمان) ساخرًا :

- وما الذى يمكن أن يعنى شيئاً يا (ديلشمسكى) ؟!

القتابل النووية ؟!

أجابته (ديلشمسكى) :

- إنها ليست المرة الأولى ، التي يواجه فيها

(أدهم صبرى) رصاصات أعدائه ، وليست المرة

الأولى التي ينجو فيها منهم أيضاً ؛ هذا لأنكم جميعاً

تواجهونه بأسلحتكم وحدها .

قال (سبيلمان) فى توتر :

- ماذا تعنى؟! أتقول إننا ينبغى أن نواجهه
بعقولنا أيضًا!؟

هزّ (ديلشمسكى) رأسه ، وكان (سبيلمان) يقف
أمامه ، داخل الطائرة الخاصة ، وقال فى حزم :
- بل أسلحته هو .

لم يفهم (سبيلمان) ما يعنيه (ديلشمسكى) ،
فقال فى حذر :
- ماذا تقول!؟

أجابته (ديلشمسكى) فى شرود ، وكأنما يحدث
نفسه :

- أقول : إن هذا ما لم يفكر فيه أحد من قبل .. أن
نقاتل (أدهم صبرى) بأسلحته هو ، وليس بأسلحتنا
نحن .

قال (سبيلمان) فى عصبية :

- لست أفهم ما تعنيه .

أجابته (ديلشمسكى) فى صرامة :

- المهم أنتى أفهمه .

ثم تابع بلهجة أمره :

- اسمعنى جيدًا يا (سبيلمان) .. لهجتك توحى

بأنك واثق تمامًا ، من قدرتك على الظفر برجل
المخابرات المصرى ، الذى لم يظفر به أحد من قبل ،
ولكننى لست أشاركك ثقتك هذه .. سيسعدنى بالطبع
أن تتخلص منه ، ولكن المهم الآن أن تمنعه من
مغادرة (لارناكا) بأى ثمن .. هل تفهم!؟

أجابته (سبيلمان) فى حزم :

- اطمئن يا (ديلشمسكى) .. حتى لو فشل الرجال
الثلاثة ، الذين أرسلتهم خلفه ، فما زالت هناك موجات
أخرى وأخرى ، وسأمنع (أدهم صبرى) هذا من مغادرة
(لارناكا) ، حتى ولو اضطررت لنسف المطار كله .

قال (ديلشمسكى) فى صرامة :

- بالضبط .

ثم أنهى الاتصال ، مستطردًا :

- وحتى لو فشلت يا (سبيلمان) .. فلن أفضل أنا .
اتعقد حاجباه فى حزم ، وراح عقله يستعيد الموقف
كله منذ البداية ..

منذ تلك اللحظة ، التى التقى فيها بـ (أدهم)
مصادفة ، وهو متنكر فى هيئة (جيل موراي) ، فى
كلية (بن جوربون) للناشئين ، و ..

ولكن مهلاً ..

ما الذى كان يفعله (أدهم) هناك ؟!
ما المعلومات التى طلبها من الكلية ، والتى كانت
السكرتيرة الشمطاء بصدد إعدادها ؟!
كيف أهمل الجميع هذه النقطة ؟!
كيف ؟!

لم يكد السؤال يستقر فى ذهنه ، حتى اختطف
سماعة الهاتف مرة أخرى ، وطلب رقم مكتبه فى
(تل أبيب) ، ولم يكد يسمع صوت مساعده ، حتى
قال بلهجة أمرة حازمة :

- أنا (ديلشمسكى) .. استمع إلى جيداً ، ونفذ
ما سأخبرك به بمنتهى السرعة والدقة .. أريد منك
أن تذهب فوراً إلى كلية (بن جوريون) للناشئين ..
وبتر عبارته بضع لحظات ، قبل أن يهتف فى
صرامة :

- أعلم أننا فى منتصف الليل الآن ، ولكن هذا لا يعنى
شيئاً .. حطم أبواب الكلية لو اقتضى الأمر ، وانترع
المديرة وسكرتيرتها من فراشيهما .. المهم أن تحصل
على ما سأطلبه منك ، وأن تبلغنى به على وجه السرعة ..
وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بمنتهى
الحزم والصرامة :

- أريد هذه المعلومات يا رجل .. أريدها بشدة ،
قربما كانت ، فى لحظة ما ، هى أقوى سلاح يمكن أن
نربح به حربنا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يكمل :

- حربنا مع (أدهم صبرى) .

وفى عبارته الأخيرة ، حمل صوته كل حزمه ..

وعزمه ..

و ..

وعنفه ..

عندما جذب الإسرائيلى الضخم تلك المرأة إليه ،
ليصنع من جسدها درعاً واقياً ، وهو يصوب مسدسه
إلى (أدهم) ، كان واثقاً من أن هذا كفيل بحمايته
تماماً ؛ لأن (أدهم) لن يجازف بإطلاق النار أبداً ،
فى هذه الحالة ، و ..

ولكن (أدهم) خالف توقعاته تماماً ..

صحيح أن الإسرائيلى كان يحتذى بالمرأة ..

إلا أنه كان أكثر ضخامة منها بكثير ..

وهذا يعنى أنه كانت هناك أجزاء مكشوفة من

جسده ..

ورأسه ..

وبالنسبة لأي رجل أمن عادي ، كان من المستحيل أن يجازف بإطلاق النار ، في موقف كهذا ..

أما بالنسبة لرجل مثل (أدهم) فقد كان الموقف يختلف ..

كثيراً ..

ففي نفس اللحظة ، التي همّ فيها الإسرائيلي بضغط زناد مسدسه ، ارتفعت يد (أدهم) بسرعة البرق ..

ودوت في المكان رصاصتان ..

إحدهما سبقت الأخرى بثانية واحدة ..

أو أقل قليلاً ..

وصرخت المرأة ، التي يمسك بها الإسرائيلي ، عندما تناثرت الدماء على وجهها ، وانقبضت الذراع

الممسكة بها لحظة ، قبل أن تتراخي تماماً ، وعينا صاحبتها تتسع ، في ألم ذاهل مذعور ، ثم يسقط أرضاً

كالحجر ..

وفي هدوء ، وبعد أن طاشت الرصاصات الموجهة إليه ، وبينما كان يخفض مسدسه ، الذي ما زالت

الأدخنة تتصاعد من فوهته ، اتجه (أدهم) نحو

السيدة ، التي تجمّدت من شدة الذعر ، ومدّ يده إليها ، قائلاً :

- أنت بخير يا سيدتي !؟

حدّقت المرأة في وجهه لحظة ، ثم نقلت بصرها المذعور إلى الإسرائيلي الصريع ، قبل أن تهتف في

رعب :

- لقد .. لقد أطلقت النار عليه .

أجابها (أدهم) ، في أسف حقيقي :

- كنت مضطراً .

صرخت في انفعال :

- وكان يمكن أن تقتلني .

تتهدّ ، قائلاً :

- لست أعتقد هذا .

لم يكذب يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت من خلفه ، يصرخ :

- ألق مسدسك يا هذا .

استدار (أدهم) في هدوء ، نحو رجال الأمن ، الذين يصوبون مسدساتهم إليه ، في تحفز عصبى ،

وقال باليونانية :

- لقد شاهدتم ما حدث .. إنني لست ال ..

صرخ فيه أحدهم مقاطعًا :

- ألق مسدسك .

كان (أدهم) يدرك جيدًا أنه ليس من الحكمة أن يطرق على أعصاب رجال الأمن ، في ظل هذه الظروف الملتهبة ، فألقى مسدسه بعيدًا ، وهو يقول في صرامة :

- هذا تصرف غير منطقي ، وغير ..

كان رجال الأمن يندفعون نحوه ، بعد أن ألقى مسدسه ، عندما دوت النيران مرة أخرى في قوة ، وتردد صداها في المكان ، على نحو مخيف .. ومزقت الرصاصات أجساد رجال أمن المطار في عنف ...

وتفجرت الدماء على نحو وحشي مخيف ..

وانطلقت صرخات أشد عنفًا وذعرًا ..

وعند مدخل المطار ، جلس (سبيلمان) ينقث سيارته في بطء وهو يراقب الموجة الثانية من رجاله ، والمكوّنة من ستة رجال بمدافع آلية كبيرة ، وهي تنقض بكل عنف ووحشية وشراسة الدنيا على الهدف ..

على (أدهم) ..

* * *

تألقت عينا الزنجي (ميرفي) في لهفة تفوح منها رائحة الطمع ، وهو يتطلع إلى الحقيبة ، التي يحملها (مكارثي) ، الذي دلف إلى مكتبه الحقيير ، وهو يقول في حدة محنقة :

- قل لي يا (ميرفي) : كيف تمتلك كل هذه الأموال ، وتكتفي بمكتب قدر حقيير ، في منطقة رديئة كهذه !؟

اتسعت ابتسامته (ميرفي) وهو يشير إلى رأسه ، مجيبًا :

- دعنا نعرّف بأنها وسيلة عبقرية ؛ لإبعاد أنظار وأذهان الشرطة عنا .

قال (مكارثي) في سخريّة عصبية :

- أنظار من !؟ هل تتصور أنه هناك مخلوق واحد ، في نيويورك كلها ، يجهل أنك ملك الجريمة بلا منازع .

لوح (ميرفي) بذراعه ، وهو يهتف :

- وهذا يملؤني فخراً يا رجل .

ثم أطلق ضحكة عالية مبتذلة ، قبل أن يغمز بعينه ، مضيفًا :

- ولكن المهم أنه لا دليل واحد على هذا .. ونحن دولة نلتزم بالقانون .. أليس كذلك !؟

وقهقه ضاحكا ، على نحو مقرّر ، جعل (مكارثي) يقلب شفّتيه ، وهو يرفع قطعة ثياب قذرة عن أحد المقاعد ، ليجلس عليه ، قائلا :

- لن يمكنني فهم هذا أبداً .. إتينا نسعى للثراء ، حتى نحصل على كل وسائل الرفاهية الممكنة ، ولكن في حالتك هذه ، فإنك تصرّ على العيش وسط القذارة والـ ..

قاطعه (ميرفي) في صرامة :

- هذا هو أسلوب الحياة ، الذي يروق لي يا هذا . ثم مال إلى الأمام ، وسأل في لهفة وجشع :
- وبمناسبة الحديث عن الثراء .. هل أحضرت النقود معك .

لوح (مكارثي) بالحقيبة ، قائلا :

- كل ما طلبته أيها الطماع .
قهقه (ميرفي) ضاحكا مرة أخرى ، وهو يمدّ يده إليه ، قائلا :

- أعطني إياها يا مستر (مكارثي) .. دعني أتمتع برائحتها ولونها الأخضر الجميل .

أبعد (مكارثي) الحقيبة عن يده ، قائلا في صرامة :

- مهلاً .. الأمر ليس بهذه البساطة .

اتعقد حاجبا الزنجي في غضب ، وهو يهتف :

- لماذا !؟ ألم أحذركم من ذلك المصري !؟

قال (مكارثي) في صرامة :

- هذا لا يكفي .

رمق (ميرفي) الحقيبة بنظرة عصبية ، وهو يقول :

- ماذا تريد أيضا !؟

مال (مكارثي) نحوه ، قائلا :

- الولاء .

اتعقد حاجبا الزنجي أكثر ، وهو يردّد في عصبية :

- الولاء !؟ ماذا تعني !؟

اعتدل (مكارثي) ، مجيباً بلهجة حازمة صارمة :

- إنه المطلب الرئيسي للسيدة .. أن تشعر بولائك لها .

حنق (ميرفي) في وجهه لحظة ، وكأنه لا يستوعب الأمر ، ثم لم يلبث أن هتف في غضب شديد :

- الولاء لمن !؟ أنا (ميرفى) .. الملك !؟
يا للسخافة ! .. (ميرفى) لا يدين بالولاء سوى
لنفسه يا رجل .. أنا ملك الجريمة بلا منازع .. أنت
قلتها بنفسك .

صاح (مكارثى) ، وهو يلوح بسبابته فى وجهه :
- بل أنت قلتها يا (ميرفى) .
هتف الزنجى بعصبية مفرطة :
- أنا ماذا !؟

أجابه (مكارثى) فى صرامة :
- أنت أعلنت أن السيدة تفوقك قوة وسلطاناً ،
عندما عرضت عليها خدماتك بمقابل .
لوح (الزنجى) بيده ، هاتفاً :
- هذا لا يعنى شيئاً .. التعاون بين القادة والملوك
أمر طبيعى .. الكل يعطى ويأخذ .
اعتدل (مكارثى) ، وشذ قامته ، وهو يقول فى
حزم :

- السيدة تعطى فحسب .
حدق (ميرفى) فى وجهه مرة أخرى ، ثم سأل
فى حدة :

- ماذا تعنى كلماتك هذه !؟

أجابه (مكارثى) فى صرامة :
- مليونى دولار سنوياً .

لم يكذ يأتى على ذكر المال ، حتى تلاشت عصبية
ميرفى (بغتة ، وانقضَّ جشعه على ملامحه كلها ،
وهو يهتف :
- كم !؟

ارتسمت ابتسامة ظافرة ، على ركن شفتى
(مكارثى) ، وهو يجيب :
- السيدة تعرض عليك مليونى دولار سنوياً ،
مقابل إعلان ولاتك الدائم لها .
سأله (ميرفى) :

- وما الذى تعنيه بإعلان الولاء هذا !؟
أجابه (مكارثى) فى حزم :
- أن تطيع أوامرها دون مناقشة ، وتنفذ كل
ما تأمرك به ، وتنقل إليها كل ما تحصل عليه من
معلومات أولاً فأولاً ، و ..

قاطعه (ميرفى) فى حدة :
- هراء .. هل تطلب منى التخلّى عن كل أعمالى ،

والتنازل عن مكائتي المتميزة في عالمي ، من أجل
مليونى دولار سنويًا؟! هل تعلم كم أربح من عملي
هذا يا رجل!؟

أجابه (مكارثي) في صرامة :

- لم يطالبك أحد بالتخلي عن أعمالك ، أو التنازل
عن مكائتك يا هذا .. كل ما سيحدث هو أنك ستضيف
إلى دخلك مليونى دولار سنويًا ، مقابل تنفيذ ما تطلبه
السيدة ، دون أن يعلم سوى ثلاثتنا حقيقة الأمر ..
أضف إلى هذا كل ما سيفيدك به انتماؤك إلى السيدة ،
بكل ما لها من نفوذ واتصالات .. وأموال أيضًا ..

ثم عاد يشد قامته ، مستطردًا :

- أمر أخير ، ينبغي أن أنكره .. السيدة اعتادت ألا
تقدم عروضها سوى مرة واحدة .. فى عالمها
لا يوجد ما يسمى بالفرصة الثانية ، ثم إنها تحب
معرفة الأجوبة فورًا .. قل لى يا (ميرفى) : هل
أخبرها أنك قد قبلت عرضها أم لا .

اتعقد حاجبا الزنجى فى شدة ، وانقلبت شفته
الغليظة على نحو عجيب ، وهو يرمى (مكارثي)
بنظرة غاضبة ، ثم أشاح بوجهه ، وأشعل سيجارة

قصيرة نفاذة الرائحة ، راح ينفث دخانها فى عصبية
شديدة لبعض الوقت، وكأنما يدير الأمر كله فى رأسه،
قبل أن يستدير إلى (مكارثي) ، قائلاً فى توتر :

- أخبرها أننى أوافق .

اتسعت ابتسامته (مكارثي) وهو يقول :

- كنت أعلم هذا .

ثم مد يده ليناوله حقيبة النقود ، فتابع الزنجى فى
شراسة :

- ولكن مقابل مليونين ونصف .

اتعقد حاجبا (مكارثي) ، وهو يستعيد صرامته ،
قائلاً :

- آه .. نسيت أن أخبرك أن السنيورا لا تساوم قط
يا هذا .

بدا الغضب على وجه الزنجى ، وتطلع إلى الحقيبة
فى توتر شديد، ثم لم يلبث أن اختطفها بحركة حادة ،
قائلاً :

- فليكن ..

وغادر (مكارثي) المكان ، وهو يحمل على
شفتيه ابتسامته ظافرة كبيرة ..

ها هو ذا عالم جديد ، يقع بالكامل تحت سيطرة
السيدة ..

وكان هذا يعنى القوة ..
المزيد من القوة ..

مع طلقة الرصاص الأولى، تحرك (أدهم) كالفهد ..
كان كل رواد المطار منبطحون أرضاً منذ البداية ،
فيما عداه ، ورجال الأمن ، وتلك المرأة ، التي اتخذها
الإسرائيلي الضخم رهينة ودرعاً ..

ومع بدء إطلاق النار ، وسقوط رجال الأمن ، دفع
(أدهم) المرأة ، لتسقط أرضاً مع الآخرين ، قبل أن
يلقى نفسه على الأرضية المصقولة ، وينزلق فوقها
في خفة ، ورصاصات الإسرائيليين تلاحقه ، حتى
اختطف المسدس ، الذي ألقاه منذ قليل ، وأدار يده
ليطلق رصاصاته عليهم ، وجسده ما زال يواصل
الانطلاق ..

وحصدت رصاصاته اثنين من الإسرائيليين الستة ،
ومزقت ذراع ثالث ، و ...
ونفدت ..



بدا الغضب على وجه الزنجي ، وتطلع إلى الحقيبة في توتر
شديد ، ثم لم يلبث أن اختطفها بحركة حادة ..

نعم .. نفذت الرصاصات من مسدسه ، في تلك اللحظة ، التي انقض فيها الإسرائيليون الثلاثة نحوه كالوحوش ، وهم يطلقون رصاصاتهم بلا توقف ..

وأصبح الموقف كله مخيفاً بحق ..

ويحمل رائحة تزكم الأنوف ..

رائحة الموت ..

وبكل قوته ، ألقى (أدهم) المسدس الفارغ ، ورآه يضرب وجه أحد الرجال الثلاثة ويلقيه خلفاً في عنف ، في حين واصل الآخرين اندفاعهما نحوه ..

وانطلقت رصاصات مدفعيهما كالمطر ، وهو يعدو بكل قوته ، محاولاً بلوغ أقرب حاجز من حواجز المنطقة الجمركية إليه ..

وبدا الأمر كله ، بالنسبة إليه ، أشبه بكابوس بشع ..

كان يعدو بكل قوته ..

والنيران تطارده بكل سرعتها ..

وتفجرت الدماء من جزء من عنقه ..

ومن أعلى ساقه ..

وتدفقت في غزارة ، من إصابة ذراعه اليسرى ..

ولكنه بلغ الحاجز أخيراً ..

ووثب ..

ومع وثبته ، ارتطم سيل من الرصاصات بالحاجز ، وامتزج دوى الارتطام بصيحة (سبيلمان) الصارمة :
- لا تسمحوا له بالإفلات .. اقتلوه بأى ثمن ..

هتف به أحد الرجلين المتبقيين :

- الشرطة ستصل في أية لحظة ، ولن يمكننا التراجع ..

صاح (سبيلمان) :

- فلنذهب الشرطة إلى الجحيم .. قلت : اقتلوه بأى ثمن .

ثم صرخ ، وهو يستل مسدسه بدوره :

- اقتلوه ..

انطلقت صرخته ، وهو يعدو بكل سرعة ، نحو ذلك الحاجز ، الذي يختفى خلفه (أدهم) ، وراح يطلق رصاصاته عليه ، في شراسة ..

وكرر فعل تلقائي ، لحق به مساعداه ..

وانطلقت صرخات أكثر عنفاً في المكان ، مع دوى الرصاصات الهادر ..

وسالت الدماء على عنق (أدهم) ، وصدره ،
وساقه ..

وفي رأسه ، انطلقت فكرة واحدة تؤرقه ..
لا يمكن أن يستسلم أبدا ..

لا يمكن أن يسمح للإسرائيليين بهزيمته ، في هذه
المرحلة بالذات ..

لا بد أن يقاوم ويقاوم ..

حتى آخر قطرة دم ..

لا ينبغي أن يتخلى بهذه البساطة عن محاولته
لإنقاذ نيل (مصر) الثاني ..

نيل الفضاء ..

نايل سات ..

وبكل إرادته ..

وبما تبقى من قوته ..

ومتجاهلاً كل ما يتدفق من جسده من دماء ، حمل
(أدهم) ذلك الحاجز ، الذي يحتّمى به ، ونهض على
قدميه ، وتحامل على ساقه المصابة ، وأطلق صرخة
قتالية هادرة ..

ثم انقضّ على مهاجميه كالليث ..

وتوقّف (سبيلمان) ورجلاه بدهشة ، ثم راحوا
يتراجعون في سرعة ، والأول يصرخ في حدة :
- واصلوا إطلاق النار .. اضربوا الساقين ..
وعاد الرجلان يطلقان النار ..

ودوى صوت ارتطام الرصاصات بالحاجز ، ممتزجاً
بصيحة (أدهم) القتالية المتصلة ، وهو ينقضّ
عليهم ، وقدماه تتحركان في سرعة ، على نحو يجعل
إصابتهما عسيرة للغاية ..

ثم ارتطم بالإسرائيليين في عنف ، ورئيسهما
(سبيلمان) يعدو مبتعداً ..

ومع عنف الارتطام ، اندفع أحد الرجلين إلى الخلف ،
وسقط يرتطم بالأرض في عنف ، وينقلب على نحو
عجيب ، في حين حاول الثاني أن يتماسك ، لولا أن
هوت على فكه لكمة كالتقبلة ، أطاحت به مترين إلى
الخلف ، ليسقط على الأرض كالحجر ..

واستدار (أدهم) ليواجه (سبيلمان) ، و ...

وانطلقت رصاصة هذا الأخير ، في اللحظة ذاتها ..

وشعر (أدهم) بكتفه اليسرى تتمزق ، وبجسده

يرتدّ في عنف إلى الخلف ، ويرتطم بجدار القاعة ،

قبل أن يسقط أرضاً في قوة ..

وتدفقت الدماء من جرحه في عنف ..

ولكنه لم يستسلم ..

لقد قاوم في استماتة ، ودفع يده اليمنى في الأرض بقوة ..

أو بما تبقى به من قوة ..

ورفع رأسه إلى أعلى ، و ...

« انتهى الأمر أيها الأسطورة .. » .

وارتطمت عيننا (أدهم) بعيني (سبيلمان) المتألفتين ، وهو يستطرد في زفر شامت ، مفعم بالانفعال :

- خسرت هذه المرة ، على يد (رون سبيلمان) أفضل رجل مخبرات .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، على الرغم من آلامه ، والدماء التي تتدفق من جراحه في غزارة ، وقال ، وهو يحاول النهوض :

- في السينما الهزلية أم في عالم الواقع .

ركله (سبيلمان) بكل قوته في وجهه ، صارخاً :

- بل في هذه اللحظة أيها المتحذلق .

كانت الركلة من القوة ، حتى إنها أدارت رأس

(أدهم) في عنف ، إلا أنها لم تفقده وعيه ، أو إرادته الفولاذية ، فاندفعت يده تقبض على قدم (سبيلمان) بأصابع من فولاذ ، وجذبها في عنف ، اختل معه توازن هذا الأخير ، فسقط على ظهره في قوة ، و (أدهم) يقول في سخرية :

- عجباً ! .. أيسهل إسقاط أفضل رجل مخبرات ، على هذا النحو ؟

رفع (سبيلمان) مسدسه ، إلى وجه (أدهم) ، على الرغم من سقوطه ، وهتف في صرامة غاضبة :

- العبرة بالنهاية أيها المصري .

ثم ضغط زناد مسدسه ، مضيفاً في حدة :

- نهايتك .

ودوت الرصاصات ، في صالة الوصول بمطار (لارناكا) .

الرصاصات الأخيرة .

* * *

٧ - عبر المحيط ..

ارتسم الذعر بكل ملامحه ، على وجه مديرة كلية (بن جوريون) للناشئين وسكرتيرتها ، وهما تحدقان في وجه رجل المخابرات الإسرائيلي ، الذي انتزعهما من فراشيهما ، في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وهتفت الأولى في رعب :

- ولكن زميلك هو الذي لم يعد لاستلام المعلومات يا سيدي .. لقد أبدينا كل التعاون ، وحصلنا على ما ينبغي ، و ...

قاطعها مساعد (ديلشمسكي) في صرامة :

- هل تأكدت أولاً من أنه أحد ضباطنا ؟!

أجابت في سرعة :

- لقد أطلعني على هويته .

قال في حدة :

- وهل سبق لك رؤية مثلها ؟!

اتسعت عيناها في هلع ، وهي تقول :

- مطلقاً ، ولكنني افترضت أن ...

كانت مذعورة للغاية ، وجاهلة تماماً بكل قواعد الحيلة والأمن ، حتى إنه شعر بالضجر لمناقشتها ، فقاطعها في صرامة :

- وأين تلك المعلومات ؟!

ناولته السكرتيرة ورقة صغيرة بأصابع مرتجفة ، فألقى نظرة طويلة عليها ، قبل أن يهتف في سخط مستنكر :

- ما هذا بالضبط ؟! إنها قائمة تحوي ثلاثة أسماء .

ارتجف صوت السكرتيرة في شدة ، وهي تتمتم :

- بالضبط .

هتف في حدة :

- وما الذي يعنيه هذا ؟!

انتفض كل جزء في جسد المديرة ، وهي تشير إلى

الورقة ، قائلة :

- هذا ما طلبه منا .

حدق الإسرائيلي في الورقة ، مردداً في دهشة :

- ما طلبه ؟!

أجابته السكرتيرة في ذعر :

- نعم يا سيدي .. لقد طلب منا البحث بين طلابنا

عن طفل ثري ، يقيم في القسم الداخلي ، و ...

راحت تلقى على مسامعه كل ما طلبه (أدهم) ،
وهو يستمع إليها في دهشة بالغة ، حتى انتهت من
حديثها ، فتمتم في حيرة :

- طفل؟! (أدهم صبرى) بقى هنا ، من أجل
طفل؟! أى طفل هذا ، الذى يستحق منه مجازفة
كهذه؟!

سألته المديرية فى حيرة متوترة :

- ماذا تقول يا سيدي؟!

فهتف فيها فى غضب :

- ليس هذا من شأنك .

ثم دس الورقة فى جيبه ، وهو يضيف فى صرامة :
- ما حدث الآن لم يحدث .. أعنى أنه من الناحية
الرسمية ، لم يأت أحد إلى هنا ، ولم تكن لكما أية
علاقة بجهاز مخابراتنا .. هل تفهمان؟!

حدقت السكرتيرة فى وجهه بشحوب ، وقد عجز
لسانها عن النطق ، فى حين غمغمت المديرية ، وكل
حرف من حروف كلماتها يرتجف على لسانها :

- صدقتى يا سيدي .. هذا أفضل لنا .. لو أنكم
ستتسون الأمر بدوركم .

رمقها بنظرة صارمة ، دون أن يجيب ، ثم استدار
يغادر المكان ، فى خطوات عاصفة سريعة ، فأتسعت
عينا المرأتان فى هلع ، حتى انطلق بسيارته ..
وهنا .. هنا فقط ، هتفت السكرتيرة :

- كدت أموت ذعرًا .

أما المديرية ، فقد تركت جسدها يسقط على
مقعدها ، هاتفة :

- أما أنا فيخيل إلى أننى قد مت بالفعل .

مرت بها بضع لحظات من الصمت ، قبل أن
تتساءل السكرتيرة فى حذر متوتر :

- ولكن ماذا لو عاد أدون (موراي) ، وطلب
المعلومات التى ...

قاطعتها المديرية فى حدة :

- أدون (موراي)؟!

ثم اتعقد حاجبها فى شدة ، وهى تضيف :

- أنا لم أسمع هذا الاسم من قبل قط .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان
مساعد (ديلشمسكى) ينطلق بسيارته ، عائدًا إلى
مكتبه ، وإن لم يتوقف عقله لحظة واحدة ، عن طرح
ذلك التساؤل على نفسه ..

أى طفل هذا ، الذى يجازف (أدهم صبرى) من
أجله ، على هذا النحو ؟!
أى طفل ؟!

ولأنه اعتاد لعب دور الرجل الثانى ، فقد التقط
هاتفه المحمول من جيبيه ، وطلب رقم هاتف الطائرة
الخاصة ، التى تنطلق بـ (ديلشمسكى) عبر المحيط ،
ولم يكده يسمع صوت هذا الأخير ، حتى قال :

- أدون (ديلشمسكى) .. لقد توصلت إلى ما كان
(أدهم) يسعى خلفه ، ولكن ..
قاطعته (ديلشمسكى) فى صرامة :

- لا أريد لكن يا رجل .. هل حصلت على
المعلومات أم لا ؟!

أجابته مساعده فى سرعة :

- بل حصلت عليها يا أدون (ديلشمسكى) .
سأله (ديلشمسكى) فى حدة :

- أين هى إذن ؟!

أخبره الرجل كل ما حصل عليه ، من مديرة
المدرسة وسكرتيرتها ، فاعتقد حاجبا (ديلشمسكى) ،
وهو يتساعل بدوره :

- كل هذا من أجل طفل ؟!

قال مساعده فى توتر :

- هذا نفس ما سألت عقلى عنه يا أدون
(ديلشمسكى) ! من العجيب حقاً أن يكون هذا
ما يسعى إليه بالفعل ، إلا إذا كانت محاولة تمويهه ؛
لإخفاء هدف آخر .

أجابته (ديلشمسكى) فى عصبية :

- ولماذا التمويه ؟! إن أحداً لم يكن يعلم بوجوده
فى (إسرائيل) .. حتى أنا التقيته مصادفة ، ولولا
هذا لحصل على ما يبتغى .

سأله مساعده فى دهشة :

- هل تعتقد إذن أن ذلك الطفل هو هدفه الحقيقى
يا سيدي ؟!

ازداد اعتقاد حاجبى (ديلشمسكى) ، ولاذ بالصمت
بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- امنحنى فرصة للتفكير ، وسأتصل بك لاحقاً .

وأنهى الاتصال ، وهو يحاول الاسترخاء فى مقعده ،
متسائلاً : أهذا بالفعل هو الهدف الحقيقى ، لبقاء
(أدهم) فى قلب (إسرائيل) ..

إن (أدهم) ، كرجل مخابرات محنك ، وخبير في
الصراع العربي الإسرائيلي ، يدرك جيداً أن البقاء في
أرض العدو يحمل قدراً هائلاً من المجازفة والخطر ..
وربما بلا حدود ..

فهل من الممكن أن يواجه كل هذا ، من أجل طفل
واحد !؟

أي طفل هذا ، الذي يمكن أن يضحي المرء بحياته
من أجله !؟

لا يمكن أن يفعل المرء هذا ، إلا من أجل ابنه ،
أو

وبرقت عينا (ديلشمسكى) في قوة ، والكلمة
الأخيرة تتردد في رأسه بعنف ..

ابنه ..
الطفل الوحيد ، الذي يمكن أن يجازف المرء بحياته
من أجله هو ابنه ..

فقط ابنه ..
وبسرعة مذهشة ، راح عقله يراجع كل المعلومات ،
التي قرأها في حياته كلها عن (أدهم صبرى) ..

حياته ..

صراعاته ..

مواجهاته ..

انتصاراته ..

ثم توقّف عقله عند نقطة بعينها ، أشارت إليها
الوثائق باعتبارها شائعة غير مؤكدة ، أو مؤيدة بأية
أدلة مادية ..

شائعة تقول : إن (أدهم صبرى) قد تزوج يوماً
من عدوته اللدودة ، وضابطة (الموساد) السابقة

(سونيا جراهام) (*) ..

وأتهما قد أنجبا ابناً (**)

ابناً واحداً ، تصور الجميع أنه قد لقي مصرعه مع
أمه ، مع انفجار جزيرتها ، في قلب المحيط الأطلنطي

يوماً ، في أثناء مواجهة عنيفة لها ، مع (أدهم
صبرى) نفسه (***) ..

تلك الشائعة لم تلق قبولاً من أحد المحللين قديماً

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١)

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤)

(***) راجع قصة (لضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠)

قَط ؛ لأن أحداً لم يجد مبرراً منطقيًا واحدًا ،
يدفع (أدهم صبرى) إلى الزواج من (سونيا
جراهام) !!

ولكن ماذا لو أن هذا قد حدث بالفعل !؟

ماذا لو أنهما قد أنجبا ابناً !؟

ابن (أدهم صبرى) ..

الوحيد ..

الابن ، الذى تصور الجميع ، بمن فيهم (أدهم

صبرى) نفسه ، أنه لقي مصرعه مع (سونيا) ..

ولكن (سونيا) لم تمت ..

هذا ما يعلمه جيدًا ..

وما يعنى أن ابنها لم يمت أيضًا ..

ابنها ، وابن (أدهم) ..

أى مكان ستجده ، فى هذه الحالة ، أفضل من

(إسرائيل) لتشنه ابنها !؟

أى مكان ، بخلاف (إسرائيل) ، يمكن أن

يزرع فى نفسه العقائد اليهودية ، والنزعة

الصهيونية !؟

ثم إن هذا الطفل إسرائيلى الجنسية، بحكم القانون،

حتى ولو كان والده هو (أدهم صبرى) نفسه (*) .
وبالها من مفارقة عجيبة !

(أدهم صبرى) ، أسطورة المخابرات المصرية ،

ينجب ابناً إسرائيليًا !!

يا للمهزلة !!

وتألفت عيناه أكثر وأكثر ..

نعم .. هذا هو المنطق الوحيد للأحداث ..

هذا هو الطفل الوحيد، الذى يمكن أن يفعل (أدهم

هذا من أجله ..

وبسرعة ، اختطف سماعة هاتف الطائرة ، وطلب

رقم مساعده ، ولم يكذ يسمع صوته ، على الجانب

الآخر للخط ، حتى قال فى حزم :

- أنا (ديلشمسكى) .. اسمعنى جيدًا يا رجل ..

تلك المعلومة ، التى حصلت عليها من كلية (بن

جوريون) ، أكثر أهمية وخطورة مما كنا نتصور ..

(*) القانون الإسرائيلى يمنح الجنسية لكل من ولد لأم يهودية،

أو إسرائيلية ، بغض النظر عن جنسية الوالد أو ديانتته ، ولا يمنح

الجنسية لابن الإسرائيلى ، لو أن أمه غير يهودية .

إنها السلاح ، الذى سيضمن لنا الانتصار على
(أدهم صبرى) .. إلى الأبد ..

نطقها ، وعيناه تتألقان أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..

ارتفعت أصوات أبواق سيارات الشرطة ، فى نفس
اللحظة التى صوّب فيها (سبيلمان) مسدسه إلى
رأس (أدهم) ..

ولكن هذا الأخير لم يبال ، فالأصوات كانت تعنى أن
الشرطة ما زالت بعيدة بما يكفى ..

وتحركت سيّابته ؛ لتضغط زناد مسدسه ..
وذوت الرصاصة ..

ومع دويها ، جحظت عينا (سبيلمان) ، واتسعنا
عن آخرهما ، وأطلّ منهما ذهول متألم مذعور ، قبل
أن تتفجّر الدماء من بين شفثيه ، وينتفض جسده فى
عنف ..

ومن بعيد ، التقطت عينا (أدهم) امرأة ، تعدو
نحوه بكل قوتها ، مرتدية سروالاً من (البلوجينز)

الأزرق ، وسترة من الجلد ، وتحمل فى يدها مسدساً ،
ما زال الدخان يتصاعد من فوهته ..

وفى دهشة ، هتف (أدهم) :
- (راشيل) ؟!

بلغته (نادية) بقفزتين رشيقتين ، ومدّت يدها
إليه ، تساعد على النهوض ، وهى تقول بابتسامة
متوترة :

- دعنى أقدم نفسى .. (نادية سيف الدين) ..
كنت أرغب فى مزيد من التحدّث عن نفسى ، ولكن
لست أعتقد أن لدينا ما يكفى من الوقت لهذا .

سألها فى اهتمام ، وهو ينهض دون مساعدتها :
- ماذا تفعلين هنا ؟!

انعقد حاجباها فى توتر بالغ ، وهى تجرى ببصرها
على جروحه المتعدّدة ، والدماء التى تغرق معظم
جسده ، وهتفت :

- ربّاه !- أنت بخير ؟!

أجابها ، وأصوات أبواق سيارات الشرطة تقترب
أكثر وأكثر :

- يمكننى أن أحتمل هذا .

سألته في توتر أكثر :
 - وهل يمكنك أن تعدو !؟
 كانت الدماء تنزف من إصابة ساقه ، ولكنه أجاب
 في حزم :
 - بالتأكيد .
 دارت على عقبيها ، وهي تهتف :
 - هيا بنا إذن .
 انطلق يعدو إلى جوارها ، وهو يسألها :
 - كيف وصلت إلى هنا !؟
 هتفت ، وهي تعدو بكل قوتها :
 - الإدارة رأت أنني أصلح للعب دور سائقك
 الخاصة .
 سألتها ، وهما يتجهان نحو ممر الإقلاع :
 - وما المفترض أن يعنيه هذا بالضبط !؟
 هتفت ، وهي تشير إلى طائرة صغيرة ذات محركين ،
 تستقر على الممر :
 - لقد قادتني إلى هنا ؛ لالتقاطك .
 تألقت عيناه ، وهو يسأل :
 - مصرية !؟



بلغته (نادية) بقفزتين رشيقتين ، ومدت يدها إليه ، تساعده

على النهوض ..

أجابته لاهثة :

- بالتأكيد .

كان الاضطراب والفوضى ، اللذين نشنا عن إطلاق
النيران ، قد أتاح لهما بلوغ ممر الإقلاع ، إلا أن
طاقم الأمن لم يلبث أن رصدهما ، فانتقلت خلفهما
واحدة من سياراته ، وهما يعدوان نحو الطائرة ،
وهتف قائدها ، عبر مكبر صوتي :

- إنذار .. أنتما داخل منطقة أمنية محظورة ..
توقفا واستسلما فوراً ، وإلا سنطلق النار مباشرة ..
هذا إنذار أخير .

تجاهل الاثنان الإنذار ، وهما يواصلان انطلاقهما
نحو الطائرة ، فهتف قائد المطاردة في غضب عصبى:
- فليكن .. أنتما أردتما هذا .

انطلقت الرصاصات خلفهما ، وهما يقطعان الأمتار
الأخيرة ، التي تفصلهما عن الطائرة ..

كان (أدهم) مصاباً بشدة ، كما أن الدماء التي
فقدتها ، جعلت رأسه يدور بشدة ، حتى إن كل شيء
بدا أمامه كالحلم ..

ولكن يبدو أننا لا نحيا في دنيانا بالوعى وحده ..

فمع مرور الوقت ، وانغماس المرء حتى أذنيه في
حياة شاقة عنيفة كهذه ، يجرع فيها الخطر في كل
لحظة ، تتحول تصرفاته ، في بعض الأحيان ، إلى
نوع من الآلية اللاواعية ..

تماماً كما يحدث في الحروب ، عندما يتواصل
القتال لفترات طويلة للغاية ..

فالمقاتل عندئذ يفقد شعوره ، من فرط التعب
والإرهاق ..

ولكنه يواصل القتال ..

كل ما تعلمه وخبره يتحول - عندئذ - إلى غريزة
قتالية دقيقة ..

بل وربما أدق من عقله الواعي نفسه ..

وهذا - تقريباً - ما حدث مع (أدهم صبرى) ..

لقد واصل انطلاقه نحو الطائرة ، كما لو أن
مشاعره كلها قد تلاشت ، ووثب إليها وثبة مدهشة ،
على الرغم من كل إصاباته ، واحتل مقعد قيادتها ،
وأدار محركها ، و (نادية) تثب إلى جواره ،
وصوت ارتطام الرصاصات بجسمها يتردد في أذنيه
كدوى آلاف القنابل ..

وفي غضب ، هتف قائد فريق المطاردة :

- لا تسمحوا لهما بالإقلاع .

ومع آخر حروف هتافه ، ظهرت سيارة أخرى ،
اندفعت بدورها نحو الطائرة ، ورجالها يطلقون النار ..

وهتفت (نادية) :

- رباه ! لن نفلح أبداً .

اتعقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، واستنفر كل

قوته وإرادته ، وهو يغمغم :

- سنفعلها بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

وانطلق بالطائرة ..

وصرخ قائد فريق المطاردة :

- أطلقوا النار .. امنعوهما بأي ثمن ..

وانحرفت السيارة الثانية في حركة حادة ، لتعرض

طريق الطائرة ، التي اندفعت على ممر الإقلاع ..

ودوت الرصاصات أكثر وأكثر ..

وتلاشت مشاعر (أدهم) كلها ، وحاجباه يلتقيان

أكثر وأكثر ..

وصاحت (نادية) ، وهما يندفعان نحو سيارة

الأمّن مباشرة :

- لن نفلح .. لن نفلح ..

ولكن (أدهم) زاد من سرعة الطائرة ، ورأى
الرصاصات ترتطم بزجاجها المصفح ، وتصنع به بقعاً
صغيرة ..

وصرخ قائد فريق المطاردة ، بكل غضبه وثورته :

- أوقفوهما .. لا تسمحوا لهما بالفرار أبداً ..

وجذب (أدهم) مقود الطائرة إليه ..

ودارت أطراف الأجنحة ..

وانطلقت الرصاصات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وراحت المسافة بين الطائرة وسيارة الأمن تقل ..

وتقل ..

وتقل ..

وصرخت (نادية) مرة أخرى :

- لن نفلح .

ولكن الطائرة ارتفعت ..

واتسعت عيون ركاب سيارة الأمن ، عندما اندفعت

إطاراتها نحوهم ..

وانخفضت رعوسهم في ذعر ..

أوقف (مكارثي) سيارته ، أمام باب ذلك المخزن الضخم ، بالقرب من ميناء (نيويورك) ، وأضاء مصباحها مرتين ، فانفتح الباب الضخم في ببطء ، وظهر على عتبه عملاقان يحملان مدفعين آليين كبيرين ، أشار أحدهما بيده ، قائلاً بصوت خشن أجش :

- مرحباً يا مستر (مكارثي) .

سأله (مكارثي) ، وهو يعبر الباب بسيارته :

- هل عادت السيدة من رحلتها !؟

هز العملاق رأسه نفيًا ، وأجاب :

- ليس بعد .

أوقف (مكارثي) سيارته داخل المخزن الكبير ، وأغلق العملاقان بابه خلفه ، ثم أضيئت الأنوار ، وهو يغادر السيارة ، ويتجه إلى سلم من المعدن ، يقود إلى الطابق العلوي ، وهو يقول :

- سأذهب للنوم .. أيقظاني فور قدوم السيدة .

أجاب أحد العملاقين في اقتضاب :

- سنفعل .

وارتفعت الطائرة أكثر ..
وأكثر ..

ثم حلقت في الهواء كنسر عملاق ..

واتسعت عيننا (نادية) في انبهار ، وهي تهتف :
- رباه ! لقد فعلتها .

ثم التفتت إلى (أدهم) ، مكررة بفرحة غامرة :
- لقد فعلتها .. لقد ..

وبترت عبارتها بغتة ، وهي تحدق فيه بدهشة بالغة ..

فعلى الرغم من انعقاد حاجبيه ، ونظراته الصارمة ، وأصابعه التي تسيطر على مقود الطائرة في قوة ، وتنطلق بها في مهارة ، بدا لها (أدهم) وكأنما خلا جسده من الحياة ..

تمامًا ..

وعندما انخفضت عينها إلى ما تحت مقعد القيادة ، انطلقت من حلقها شهقة ..

فهنالك ، حول قدميه ، كانت هناك بركة من الدماء الساخنة ..

دمائه ..

صعد (مكارثي) إلى الطابق الثاني ، الذي بدا شديد الاختلاف عن الطابق الأول ، الذي يبدو كمخزن بضائع تقليدي ، من تلك المنتشرة حول ميناء (نيويورك) ..

فالطابق الثاني كان عبارة عن شقة فاخرة ، تحوى صالة انتظار ، وحجرة مكتب بالغة الأناقة ، وحمام كبير ، وحجرتي نوم ، اتجه (مكارثي) إلى إحدهما ، وهو يحل رباط عنقه ، ويغمغم :

- يا له من يوم مرهق ، بدأ بالأعمال التقليدية ، ثم حادثه المطار ، و ...

« ولقاؤك بالوغد (ميرفي) .. »

انتفض (مكارثي) في عنف ، عندما اخترقت هذه العبارة الاعتراضية أذنيه بغتة ، وقفزت يده إلى مسدسه ، المعلق تحت إبطه ، ولكن قبل أن تبلغه أصابعه ، أضيء مصباح الحجره بغتة ، وبدت له فوهة مسدس قوى ، مصويّة إلى رأسه مباشرة وصاحبها يقول فى صرامة ، تحوى نبرة ساخرة :

- حذار أن تلمسه يا هذا ، فمن المؤكد أن رصاصتى ستسبق يدك ، وتنسف رأسك ، قبل أن تدور أصابعك حول مقبضه .

اتسعت عينا (مكارثي) فى ذهول ، وهو يحدث فى (نادر) ، هاتفاً :

- أنت ؟!

نهض (نادر) من مكانه ، ومدّ يده ينتزع مسدس (مكارثي) ، ويلقيه جانباً ، وهو يقول فى صرامة :

- نعم .. هو أنا .. نفس الرجل الذى التقيته ظهر اليوم .. أظن ذاكرتك لم تفقد صورتى بعد .

حدث (مكارثي) فيه لحظة بذهول ، ثم لم يلبث هذا الذهول أن تحول إلى غضب عصبى ، وهو يقول فى حدة :

- كيف دخلت إلى هنا ؟!

هزّ (نادر) كتفيه ، قائلاً :

- لم يكن هذا بالأمر العسير .

ثم ابتسم فى سخرية ، مضيفاً :

- كما لا بد أنك تعلم ، يا رجل المخابرات السابق .

انعقد حاجبا (مكارثي) فى غضب ، وهو يقول :

- آه .. لقد قمت بتحرياتك إذن .

أجابه (نادر) فى هدوء :

- أمر طبيعى فى عالمنا يا رجل ، وأنت خير من

يدرك هذا .. لقد افتحمت أمورنا، ودسست أنفك فيها،
واختطفت زميلتى المقعدة ، ولا بد والحال هكذا أن
نسعى خلفك ، وخلف من تعمل لحسابهم ، بعد أن تم
فصلك من المخابرات المركزية الأمريكية ، إثر واقعة
الرشوة الشهيرة ، التى كشفتها تحرياتنا السريعة .

سأله (مكارثى) فى عصبية :

- وكيف قادتكم تحرياتكم السريعة هذه إلى هذا
المكان !؟

ابتسم (نادر) ، قائلاً :

- تحرياتنا لم تفعل هذا .. أنت فعلته .

هتف (مكارثى) مستكراً :

- أنا !؟

لوح (نادر) بيده ، وهو يقول :

- نعم .. أنت قادتنا إلى هنا ، عندما ذهبت لمقابلة

ذلك الوغد (ميرفى) .

انعقد حاجبا (مكارثى) فى شدة ، و (نادر)

يتابع :

- هل تصورتنا حمقى ، إلى الحد الذى يدفعنا إلى

التعامل مع مجرم حقير مثل (ميرفى) !؟ إننا نعلم

منذ البداية استحالة كونه أهلاً للثقة ؛ فالمجرمون
أمثاله لا يمكنك ضمان ولائهم قط .. إنهم سيبيعونك
لأول من يدفع قرشاً زائداً .. وبالنسبة لشخص مثله ،
كان من الطبيعى أن يسعى للإفادة بما لديه من
معلومات ، إلى أقصى حد ممكن ، وكان هذا يعنى أن
يجرى اتصالاته بكم على الفور ، وأنكم سترسلون من
يتفاوض معه ، نظراً لأنه لن يقبل المجيء إليكم أبداً .

غمغم (مكارثى) فى غضب ساخط :

- كان فخاً إذن .

أوماً (نادر) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- ووقعتم فيه كالسذج .

عض (مكارثى) شفته السفلى فى غضب ،

واحتقن وجهه ، مع شعوره بالسخط والمرارة ،

لنجاح المصريين فى خداعه ، فى حين عاد (نادر)

يجلس على ذلك المقعد المجاور للفرش ، ويرفع

ساقيه فوق مقعد آخر ، وهو يصوب مسدسه إلى

(مكارثى) ، قائلاً بلهجة شديدة الصرامة :

- والآن أيها الوغد .. أين زميلتى (جيهان) !؟

عض (مكارثى) شفته مرة أخرى ، وقال فى

عصبية :

- لست أدري .

جذب (نادر) إبرة مسدسه ، وهو يقول بصرامة
أكثر :

- هل تحتاج إلى ما يذكرك ؟! رصاصة في ساقك
مثلاً .

أجابه (مكارثي) في حدة :

- لن يفيد هذا ، حتى ولو نسفت رأسي نفسه ؛
لأنني لا أعلم بالفعل أين زميلتك الآن :

اتعقد حاجبا (نادر) ، في غضب هادر ، وهو
يقول :

- يبدو أنك تستحق رصاصة في ساقك بالفعل .

قال (مكارثي) في سرعة :

- أقسم لك إنني أجهل أين زميلتك الآن .

سأله (نادر) في توتر :

- ماذا تعني ؟!

لوح (مكارثي) بذراعيه ، مجيباً في حدة :

- السيدة ، التي أعمل لحسابها ، لا يقتصر نفوذها ،

ولا تقتصر عملياتها ، على (نيويورك) ، أو حتى

الولايات المتحدة الأمريكية نفسها .. إنها واسعة

النفوذ والاتصالات إلى حد مخيف .. إننا نجهل حتى
لماذا اختطفت زميلتك ، ولا ما الذي ستفعله بامرأة
كسيحة مثلها !! لقد نفذنا أوامرها فحسب ، واحتفظنا
بزميلتك بضع ساعات ، قبل أن تحملها السيدة معها ،
في رحلتها الأخيرة .

سأله (نادر) في صرامة :

- إلى أين ؟!

تحرك (مكارثي) في عصبية ، وهو يجيب :

- لا أحد يدري .. السيدة لا تعلن وجهتها قط ..

حتى قائد طائرتها الخاص لا يدري إلى أين ستذهب

في كل مرة .. إنه يتلقى الأوامر في مظروف مغلق ،

غير مصرح له بفتحه ، إلا بعد أن تصبح الطائرة في

الجو فعلاً .

غمغم (نادر) :

- يبدو أنها سيّدة حذرة للغاية .

هتف (مكارثي) ، وهو يواصل تحركاته العصبية :

- أكثر مما تتصور .. هل تعلم ما الذي فعلته ، في

المرّة الأخيرة ؟!

أجابه (نادر) في اهتمام :

- يهمنى كثيراً أن أعلم -

قال (مكارثي) في صرامة مباغتة :

- هكذا ..

ومع قوله ، وثب وثبة مذهشة ، التقط خلالها
مسدسه ، واستدار في سرعة كبيرة ..

ودوت الرصاصات ، في الطابق الثاني من المخزن ..
بمنتهى العنف ..

* * *

« لقد غادرنا المجال الجوي لجزيرة (قبرص)

بالفعل .. »

غمغمت (نادية) بالعبارة ، وهي تتطلع إلى
(أدهم) في قلق شديد ، بعد أن واصل الانطلاق
بالبطائرة في آليه عجيبه طوال الوقت ، منذ غادرا
مطار (لارناكا) ..

وحتى مع عبارتها هذه ، لم يتغير موقفه قط ..

بل ولم يبد حتى أنه قد سمعها ..

لذا ، فقد مالت نحوه ، تسأله في قلق بالغ :

- (أدهم) .. أنت بخير !؟

لم يجب ، في هذه المرة أيضاً ، فهزّت كتفه ،
هاتفه :

- (أدهم) !

بدا لها وكأنه يستيقظ من حلم عميق ، وهو يلتفت
إليها ، متسائلاً :

- ماذا هناك !؟

لم تكد عيناها ترتطمان بوجهه ، حتى اتسعتا في
ارتياح ، وهي تهتف :

- يا إلهي !

فقد كان وجهه شاحباً ممتقعاً على نحو مخيف ،
وعيناها زائغتين ، وكأنما ..

وكانما يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

وبكل توتر الدنيا ، مالت (نادية) تضغط أحد
أزرار القيادة ، فهتف بها في عصبية :

- ماذا تفعلين !؟

أجابته ، محاولة تهدئته :

- لا تقلق .. إنني أقوم بتشغيل الطيار الآلي

فحسب .. يمكنك أن تتخلى عن عجلة القيادة الآن ..

قال في عصبية :

- لا بد من ضبط الإحداثيات أولاً ..

أمسكت يده في رفق ، لتبعدها عن عجلة القيادة ،
وهي تقول :

- إنها مضبوطة ، منذ غادرت (القاهرة) ..
سينطلق بنا الطيار الآلى مباشرة إلى (دبلن) فى
(أيرلندا) ..

غمغم ، وهو يقاوم إرهاقه الشديد :

- (دبلن) !؟

أجابته فى خفوت مشفق :

.. ليس إلى (دبلن) مباشرة .. سنهبط فى مطار
خاص ، على بعد عشرة كيلو مترات منها ، وهناك
ستتظرنا طائرة أكبر حجمًا ، مع طاقم خاص ،
سيحملنا إلى حيث تخبره المخابرات المصرية .

أسبل جفنيه فى تهالك ، متممًا :

- المهم أن نصل فى الوقت المناسب .

حدقت فى الدماء الغزيرة ، التى تغمر ثيابه ، وهى
تقول بصوت مرتجف :

- بل المهم أن نصل أحياء .

ثم استطردت فى جزع حقيقى :

- رباہ ! لقد فقدت الكثير جدًا من دمائك ، وهناك
رصاصتان على الأقل ، تستقران فى جسدك .. لن
يمكنك أبدًا أن تواصل على هذا النحو .

قال فى حزم مجهد :

- قمرنا فى خطر .

أجابته ، وهى تقوده فى رفق إلى مقعدين كبيرين ،

فى مؤخرة الطائرة :

- أمامنا اثنتا عشرة ساعة ، قبل أن نصل إلى

الهدف ، وليس لدينا فى الوقت ذاته سوى الإسعافات

الأولية البسيطة .. قد يمكننى إيقاف النزيف ، ولكننى

لن أستطيع أن استخرج الرصاصتين ، أو أعوضك

ما فقدته من الدماء .

كان يقاوم غيبوبة عنيفة ، تهاجمه فى شراسة

وإصرار ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سألها :

- أدينا أية عصائر أو مشروبات !؟

أجابته ، وهى تكاد تبكى :

- بالتأكيد .

لوح بسيابته ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يمكنه تعويض الدماء المفقودة

نسبيًا ، حتى نصل إلى (دبلن) على الأقل .. كم

أمامنا من الوقت لتفعل !؟

أجابته ، وهى تلتقط حقيبة الإسعافات الأولية ، فى

توتر بالغ :

- ست ساعات تقريبًا .

مطّ شفّتيه ، ثم ابتسم ابتسامة شاحبة كوجهه ،
مغمغماً :

- لست أعتقد الوقت يكفي لـ ..

تجمّدت ابتسامته فجأة ، فأتسعت عيناها في ذعر ،
وهي تهتف :

- لا .. لا تستسلم الآن .

ولكن جفنيه سقطا على عينيه ، في نفس اللحظة
التي تراخت فيها ذراعه دفعة واحدة ، فهتفت
(نادية) ، وهي تهزه في قوة :

- لا تستسلم .

ثم أمسكت رأسه ، وتطلّعت إلى وجهه في عصبية ،
قبل أن تلتقط حقيبة الإسعافات الأولية مرة أخرى ، قائلة :

- فليكن .. ربما تفيدك هذه الغيوبة .. ستحظى
بقدر طويل من الاسترخاء على الأقل ، في نفس
الوقت الذي سأضمد فيه جروحك بقدر استطاعتي .

كانت تعمل في سرعة وتوتر بالغين ، وهي تحيط
جروحه وإصاباته بالضمادات ؛ لمنع المزيد من فقد
الدماء ..

وفي عصبية ، أمسكت رقبته ، لتضع ضمادة على
ذلك الجرح فيها ، و ..

وأتسعت عيناها في رعب ، وهي ترتد كمن
أصابته ألف صاعقة ، وتصرخ :

- لا .. مستحيل !

ففي اللحظة التي أمسكت فيها رقبته ، وتحسّست
وريده العنقي ، أدركت (نادية) أن عروق (أدهم)
لا تنبض بالحياة ..

وكان هذا يعنى ، بالنسبة إليها أمرًا مخيفًا ، رهيبًا ..
رهيبًا للغاية .

★ ★ ★



٨ - نبض الحياة ..

قلب مفتش الشرطة القبرصي شفتيه ، وهو يدير عينيه في صالة الوصول بمطار (لارناكا) ، التي تتأثر فيها القتلى والمصابون ، وتجمعت في أجزاء منها برك الدم ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، هاتفاً :
- إنها مذبحة بكل المقاييس .. كيف يمكن أن يحدث هذا هنا !؟ إنها فضيحة .

أجابه قائد أمن المطار في توتر بالغ :
- إننا نجرى تحقيقاً واسعاً في هذا الشأن ، ورجالنا يفتشون جثث الإرهابيين القتلى ، بحثاً عن كل ما يمكن أن يشير إلى هوياتهم .

سأله المفتش في صرامة :
- وماذا عن ذلك القس المقاتل !؟

هز كتفيه ، مجيباً :

- بيانات الكمبيوتر تشير إلى أنه قس إنجليزي ، حصل على تذكّره في اللحظات الأخيرة ، قبل إقلاع



ففي اللحظة التي أمسكت فيها رقبته ، وتحسّنت وريده العنقى ،
أدركت (نادية) أن عروق (أدهم) لا تنبض ..

الطائرة من (تل أبيب) ، ولكن مراجعة أرقام جواز سفره ، مع السفارة البريطانية ، أثبتت أنه لا وجود له على الإطلاق .

هتف المفتش :

- يا إلهي ! أتقول : إنه جواز سفر زائف أيضًا ؟!

أوما قائد الأمن برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. رقم جواز السفر قادننا إلى امرأة في

السبعين .

التقى حاجبًا المفتش ، وهو يغمغم في عصبية :

- جواز سفر زائف ، وقتال بالمدافع الآلية في قلب

المطار ، وثمانية عشر قتيلًا ، منهم عشرة من

الإرهابيين .. ترى ما الذي يمكن أن يعنيه كل هذا .

تردد قائد الأمن لحظة ، قبل أن يقول :

- الطائرة قادمة من (تل أبيب) ومن الممكن أن

يعنى هذا صراعًا إسرائيليًا فلسطينيًا ، أو ..

قاطع المفتش في صرامة :

- لا تتسرع بالنتائج ، حتى لا توقعنا في أزمة

ديبلوماسية يارجل .

احتقن وجه قائد الأمن ، وهو يهتف :

- إنه مجرد رأى شخصي .

قال المفتش في غلظة :

- المهم ألا يبلغ الصحافة .

ثم عاد يدير عينيه في القتلى والمصابين ، قبل أن

يسأل في عصبية واضحة :

- يبدو أن ذلك القس المقاتل ليس وسط القتلى أو

المصابين .

أجابه قائد الأمن في سرعة :

- الشهود أكدوا أنه قد تلقى ثلاث رصاصات على

الأقل ، قبل أن ..

بتر عبارته بغتة ، وبدا عليه الارتباك ، فسأله

المفتش في صرامة عصبية :

- قبل ماذا ؟!

ازدد قائد الأمن لعابه ، مجيبًا :

- قبل أن يفر .

احتقن وجه المفتش ، وكادت عيناه تجحظان ،

وهو يصرخ مستنكرًا :

- يفر ؟! هل نجح في الفرار ، بعد كل هذا ؟!

ارتبك قائد الأمن أكثر ، وراح يلوح بذراعيه ، قائلاً :

- الموقف كله كان مضطرباً للغاية ، ولقد ظهرت تلك المرأة ببقية ، كما أكد شهود العيان ، وكانت هناك طالرة في انتظارهما ، و ...

اتسعت عينا المفتش ، في غضب واستنكار شديدين ، وصرخ :

- إذن فقد نجح في الفرار ..

كان غضبه وثورته يفوقان الحد الطبيعي ، حتى مع نجاح (أدهم) و (نادية) في الفرار ، فحدق قائد الأمن في وجهه بدهشة ، مغمماً :

- سيدي المفتش .. إنه ليس أمراً شخصياً بالتأكيد . انتبه المفتش إلى انفعالاته البالغة ، فتنحج في عصبية ، قائلاً :

- بالطبع .. إنه ليس أمراً شخصياً .

ثم سعل مرة أو مرتين ، في محاولة للسيطرة على توتره الزائد ، قبل أن يقول في صرامة ، لم تخل تماماً من العصبية :

- أريد تقريراً وافياً مفصلاً عنى مكتبي ، في أسرع

وقت ممكن .. لا تهملوا أية تفاصيل ، مهما بدت لكم تافهة قليلة الشأن .. هل تفهم !؟

أوماً قائد الأمن برأسه إيجابياً ، وغمغم ، وهو ما زال يتطلع إليه في تساؤل :

- بالتأكيد .

واستدار المفتش مبتعداً ، فتابع قائد الأمن في توتر :

- إنه ليس أمراً شخصياً ..

ثم انعقد حاجباه في شدة ، مضيقاً :

- حسبما أتصور .

أما المفتش نفسه ، فقد استقل سيارته ، وانطلق بها مبتعداً في سرعة ، وقد انعقد حاجباه في شدة ، وكأنما يحمل في أعماقه كل غضب الدنيا ، وما إن أدرك أنه قد ابتعد بما يكفي ، حتى أوقف سيارته إلى جانب الطريق ، والتقط هاتفه الخاص ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكذ يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

- مخاوفك كانت صحيحة يا أدون (ديلشمسكي) ..

(أدهم صبرى) نجح في الفرار بطائرة خاصة ، على الرغم من كل المبالغات ، التي لجأ إليها ذلك الغبي (سبيلمان) .

نطقها بصوت يحمل الغضب ..

كل الغضب ..

★ ★ ★

« لقد توصلنا إلى المعلومات المطلوبة .. »

نطق رئيس فريق العلماء العبارة في ارتياح واضح ، أمام مدير المخابرات العامة المصرية ، في الثانية والرابع صباحاً ، فقال المدير في اهتمام بالغ :

- عظيم .. دعونا نستمع إلى ما لديكم .

تبادل العلماء بعض العبارات القصيرة السريعة ، وراجع كل منهم أرقامه للمرة الأخيرة ، وهم يجلسون في قاعة الاجتماعات الصغرى ، في مبنى المخابرات ، ثم لم يلبث رئيسهم أن نهض إلى تلك الخريطة الكبيرة على الجدار ، قائلاً :

- لو أن مؤامرة الإسرائيليين معدة ، بحيث تنسف قمرنا بصاروخ موجّه ، من مكان ما في (أمريكا) الجنوبية ، مساء الغد أو بعد الغد ، بتوقيت (أمريكا) ، فهذا يعنى أن أفضل موقع لهم سيكون إما في شمال شرق (مكابا) البرازيلية ، أو شرق (كوماتا) الفنزويلية .

اتعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

- ألا يمكنكم التحديد بدقة أكثر أيها السادة !؟

هزّ رئيس فريق العلماء رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- ليس إلا لو علمنا بموعد المؤامرة بالتحديد ، إذ إن (كوماتا) تصلح لإصابة الهدف بدقة ، لو أن العملية ستتم مساء الغد ، أما (مكابا) ، فهي الموقع الأفضل ، لعملية بعد الغد .

سأله المدير في اهتمام :

- وأيها الموعد الأفضل ، من وجهة نظركم .

أجاب أحد العلماء في سرعة :

- (كوماتا) .

التفت إليه الجميع في آن واحد ، فاكتسى وجهه بحمرة الخجل ، وهو يكمل في ارتباك :

- أعنى أنني لو كنت في موضعهم ، لاخترت (كوماتا) ، لأضرب ضربتي مساء الغد .. وفي السادسة والرابع بالتحديد ، بتوقيت (نيويورك) .

سأله المدير في اهتمام شديد :

- أنت واثق ؟

تبادل العالم نظرة مع رفاقه ، قبل أن يجيب في

حزم :

- تمام الثقة .

تنهّد المدير في ارتياح شديد ، وهو يغمغم :

- عظيم .

ثم تطلع إلى الخريطة ، مكملاً :

- إذن فهي (كوماتا) ، في السادسة والرابع

بتوقيت (نيويورك) ، من مساء الغد .

راجع الموقع على الخريطة ، قبل أن يلتفت إلى

العلماء ، ويتساءل في قلق :

- ألا يمكنهم تغيير الموعد ، أو الموقع ؟!

أجابه عالم آخر :

- مستحيل ! الوقت لا يمنحهم الفرصة لهذا ، فلو

تجاوزوا ذلك الموعد ، لن يكون أمامهم سوى الرابع

من الشهر القادم ، ثم إن نقل قاعدة إطلاق صواريخ

ليس بالأمر السهل .

سأله المدير :

- وماذا عن الصاروخ نفسه ؟!

أشار العلماء إلى زميل ثالث ، تنحنح في توتر ،

وعدّل منظاره فوق أنفه ، قبل أن يجيب :

- بالنسبة لتكلفة المؤامرة ، التي لم تتجاوز

الملايين العشرة ، وبعد خصم تكاليف إقامة قاعدة

إطلاق محدودة ، في منطقة سرية ، يتبقى أماننا

خيار واحد ، بالنسبة للصواريخ الموجهة ، القادرة على

اختراق الغلاف الجوي ، وإصابة هدف فضائي ، وهو

الصاروخ (م و - ٢٢) ، الذي تنتجه (الولايات

المتحدة الأمريكية) ، والمعروف باسم (سكاى - آى) ،

وهو تطوير لصواريخ (توما - هوك) ، ضمن مشروع

حرب الفضاء .

أوماً المدير برأسه متفهماً ، ثم التفت إلى أحد

مساعديه ، وسأله بصوت خافت :

- أدينا هنا تصميمات (سكاى آى) ؟!

أجابه مساعده في سرعة :

- نعم يا سيدي .. لقد حصل عليها المقدم (نادر) ،

في عملياته الأخيرة .

قال المدير لمساعدته بلهجة حازمة أمره :

- عظيم .. استعدوا إذن لإرسال تفاصيل الموقع

والموعد إلى (ن - ١) ، عبر برقية لاسلكية شفرية ،

وليقيم القسم الفني لدينا بإرسال التفاصيل الفنية ،

الخاصة بالصاروخ (سكاى آى) ، عبر قناة الأنترنت

السرية ، ليستقبلها عند هبوطه ، مع كل الوسائل

الممكنة لإبطال محركاته ، أو إفساده ، أو الشوشرة

على محاولة توجيهه .

أجابه المساعد ، وهو ينهض لتنفيذ الأمر :

- فى الحال وفورًا يا سيدي .

تابعه المدير ببصره لحظة ، ثم التفت إلى فريق

العلماء ، قائلاً :

- طبقًا لأساليبنا فى العمل ، لن يتم إرسال أية

معلومات ، إلى رجلنا المسئول عن العملية ، إلا بعد

عرضها عليكم مرة أخرى ، لذا فكل ما أرجوه منكم

الآن ، هو أن تراجعوا كل ما توصلتم إليه مرة أخيرة ،

حتى يتفادى رجلنا أية أخطاء محتملة ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، دلف إلى القاعة أحد مساعديه ،

فى توتر ملحوظ ، فالتفت إليه المدير ، يسأله :

- ماذا هناك ؟!

مال المساعد على أذنيه ، هامسًا :

- إنها (نادية) .. لقد اتصلت عبر هاتف خاص

بالمدينين ، من الطائرة التى التقطت بها العميد (أدهم)

من (لارناكا) ، وتطلب التحدث إلى سيادتكم شخصيًا ،

وفورًا .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يغمغم :

- شخصيًا وفورًا ؟! عجبًا ؟!

ثم التقط سماعة الهاتف المجاور له ، وضغط أزرار

الاتصال ، وقال :

- إنه أنا .. ماذا لديك يا (نادية) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إليها ، قبل أن

يهب من مقعده ، هاتفاً :

- ماذا ؟ ماذا تقولين ؟!

وسرت ارتجافة قوية فى أجساد الجميع ..

فذلك الانفعال ، الذى ارتسم على وجه المدير ، كان

يوحى بأنه يتلقى خبراً رهيباً ..

رهيباً للغاية .

★ ★ ★

راجع (تيودور زيلمان) ، مدير (الموساد)

الجديد ، الأسماء الثلاثة ، التى وضعها أمامه مساعد

(ديلشمسكى) ، للمرة التاسعة ، قبل أن ينهض من

خلف مقعده ، ويقول فى توتر ملحوظ :

- رئيسك كان على حق .. من المؤكد أن أحد

هؤلاء الأطفال الثلاثة هو ابن (أدهم صبرى) ، دون

أدنى شك .. وهذا بالفعل أخطر سلاح فى الوجود ،

يمكن أن نواجه به ذلك الثعلب المصرى .

قال مساعد (ديلشمسكى) فى حماس :

- المهم الآن أن نعلم أيهم ابنه يا سيدي .

لوح (زيلمان) بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .

ثم عاد يلقي نظرة على الورقة ، قبل أن يتابع :

- جامعة (بن جوريون) لا تقبل سوى

الإسرائيليين ، وهذا يعنى أننا نستطيع التوصل إلى

أمهات هؤلاء الأطفال الثلاثة على الأقل .

قال المساعد فى حزم :

- بل قل إننا نعرف اسم الطفل المنشود يا سيدي .

تألقت عيننا (زيلمان) ، وهو يهتف مكرراً :

- بالضبط .

واستدار إلى جهاز الكمبيوتر على مكتبه ، وراح

يمليه أسماء الأطفال الثلاثة ، ثم طلب منه إيجاد

أسماء أمهاتهم ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهرت قائمة من ثلاثة

أسماء ..

لم يكن بينها اسم (سونيا جراهام) ..

مطلقاً ..

واتعقد حاجبا (زيلمان) ، وهو يتراجع فى مقعده ،

ويحك ذقته بسبابته ، وهو يغمغم :

- آه .. إنها لن تستخدم اسمها الطبيعى بالتأكيد .

تسائل المساعد فى حذر :

- أى اسم اختارت إذن !؟

عادت أصابع (زيلمان) تضرب أزرار الكمبيوتر ،

وهو يقول فى حزم :

- هذا يحتاج إلى بحث جديد .

غمغم المساعد ، وعيناه تتابعان شاشة الكمبيوتر :

- وسريع ..

رمقه (زيلمان) بنظرة جانبية ، وضغط زرًا أخيراً ..

وانطلق الكمبيوتر ، يراجع كل بيانات الأمهات

الثلاث ..

بمنتهى الدقة ..

والسرعة ..

ثم تراصت البيانات مع الصور ، فى ثلاثة أعمدة

متوازية ..

وفى هذه المرة أيضًا ، لم تكن صورة (سونيا

جراهام) بين الصور الثلاث ..

وفي عصبية ، هتف المساعد :

- عجباً ! كيف سببنا إذن

قاطعته (زيلمان) بإشارة حازمة من يده ، وعيناه تتألقان في ظفر ، ثم لم يلبث أن التفت إليه بابتسامة متألقة بدورها ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- لا يوجد شيء كامل .

ثم أشار إلى نهاية العمود الخاص بإحدى الأمهات الثلاث ، فمال المساعد بأقصى ما يمكنه ، لإلقاء نظرة مقربة ، على السطر الذي يشير إليه المدير ..

ولم يكد الرجل يفعل ، حتى هتف على الرغم منه في حماس :

- أنت على حق يا سيدي .

ففي نهاية بيانات تلك المرأة ، كانت هناك عبارة ، تقول :

- توفيت في السابع من يوليو ، ألف وتسعمائة وتسعين .

وكان هذا يتعارض بشدة ، مع كل البيانات المسجلة في سجلات مدرسة (بن جوريون) ، والتي تشير إلى أن الأم هي المسنول الأول عن الطفل ، منذ

الحقته بالقسم الداخلي بالكلية ، عام خمسة وتسعين ..

وتألفت عينا (زيلمان) أكثر وأكثر ، وهو يتراجع في مقعده ، ويشير بيده ، قائلاً :

- أخيراً ، أمسكنا بالسلاح المناسب ، لمواجهة (أدهم صبرى) .

وكان على حق تماماً ، في كل حرف نطق به .. لقد أصبح بيدهم أقوى سلاح ، يمكن مواجهة (أدهم صبرى) به ..

أقوى وأخطر الأسلحة ..
دون أدنى شك .

كل شيء كان يدور بشدة وعنف ، في رأس (جيهان) ..

كل شيء .

لقد غرقت في غيبوبتها طويلاً وكثيراً ، حتى لم تعد تدري ماذا صار ، ولا كيف أصبحت ..

وها هي ذي الآن تستعيد وعيها أخيراً ..
بمنتهى البطء ..

وها هو ذا شعورها بما حولها يأتي رويداً رويداً ..
تري أين هي الآن؟!
إنها تشعر بفراش وثير تحتها ، وبظلام دامس
يحيط بها ..

وهناك أصوات تأتي من بعيد ..
من بعيد جداً ..

وها هي ذي الأصوات تقترب ..
بل تتضح ..

إنها أصوات قريبة ، ولكن أذنيها كانتا عاجزتين
عن سماعها في وضوح ..
وهي تسمعها الآن ..

ولكنها مازالت تعجز عن تفسيرها ..
والظلام مازال يحيط بها ، و
مهلاً .. إنه ليس الظلام ..

هناك عصابة سميكة تحيط بعينيها ..
ومعصماها مقيدان إلى الفراش ..
بشدة ..

و ..
« لقد استعدت وعيك .. أليس كذلك؟! »

اخترق السؤال أذنيها ، بصوت أنثوى ، يمتزج
برنة آلية عجيبة .

رنة تنشأ من استخدام أجهزة تغيير الأصوات ..
إنها امرأة ، تستخدم وسيلة لتغيير صوتها ..

وهذا يعنى أنه صوت مألوف لها ..
صوت يمكن تمييزه ..

« أعلم أنك تسمعيني ، وتتساءلين من أنا ، ولماذا
استخدم جهاز تغيير الأصوات .. »

واصلت المرأة حديثها ، فازدردت (جيهان) لعابها ،
وقالت :

- الأمر لا يحتاج إلى تساؤل .. إنك تخشين أن
أعرفك .

أطلقت المرأة ضحكة ساخرة ، قبل أن تقول :

- خطأ يا عزيزتى .. إننا لم نلتق وجهاً لوجه قط ،
حتى يمكنك تعرفي ، أو تمييز صوتي .

ثم اقترب صوتها ، وكأنها تميل نحوها ، مستطردة :
- إننى أتخذ الحيطة للمستقبل .

ازدردت (جيهان) لعابها مرة أخرى ، وهي تسأل
في حذر :

- أيعنى هذا أنك تنوين إطلاق سراحي؟!؟

تراجعت المرأة ، وأطلقت ضحكة عالية مجلجلة ،
قبل أن تجيب فى سخريه متهكّمة :

- خطأ مرة أخرى يا عزيزتى .. من ناحيتى أنا ،
لا أنوى إطلاق سراحك مطلقاً ، ولكننى اعتدت
الاحتياط لكل الاحتمالات المستقبلية ، حتى غير
المنطقى منها .

قالت (جيهان) فى حدة :

- كاحتمال أن أتخلص من هذه القيود ، وأحطم
أنفك مثلاً .

أطلقت المرأة ضحكة ساخرة أخرى ، وقالت :

- من المؤكد أن شكلى سيصبح سخيلاً بأنف
محطم ، ولكن الواقع أننى لم أضع هذا الاحتمال فى
حساباتى قط ، إذ إن ثلاثة من رجالى يحيطون بك
الآن ، ويصوبون مدافعهم الآلية إلى رأسك طوال
الوقت ، وسينسفونه بلا أدنى تردد ، إذا ما اشتموا
رائحة ذرة من الخطر ، يمكن أن تهددنى .

انعقد حاجباً (جيهان) ، وراحت تقاوم قيودها
لحظة ، قبل أن تقول فى حنق :

- من أنت بالضبط؟!؟

أجابتها المرأة فى هدوء :

- يمكنك أن تقولى : إننى مغامرة حسناء ، تهوى
الخطر وتعشقه ، على الرغم من أنها بالغة الثراء ،
وتمتلك من المال ما يكفى لتحييا دولة صغيرة فى
رخاء ، لمائة عام على الأقل .

سألته (جيهان) :

- لماذا تفعلين هذا بى إذن؟!؟

ران الصمت لحظة على المكان ، والتقطت أذنا
(جيهان) صوت قذاحة تشتعل ، ثم اشتم أنفها رائحة
تبغ محترق ، قبل أن تقول المرأة :

- أنت جزء من الاحتياطات المستقبلية ، التى
أخذها دائماً ، قبل أى عمل كبير .

سألته (جيهان) ، وهى تقاوم قيودها مرة أخرى :

- مجرد احتياط؟!؟

أجابتها المرأة :

- بالتأكيد .. إننى أستعد للقيام بعملية كبرى ،
وأخشى أن يدس بظلمك أنفه فى شئونى ، كما يفعل
مع الجميع ، لذا فأنا أستعد بالرهينة مسبقاً ، حتى
أضمن عدم اقترابه منى وقت اللزوم .

شعرت (جيهان) بجفاف حلقها ، وهي تغمغم :

- أتقصدين (أدهم) ؟!

ولكن غمغمتها لم تتجاوز حلقها ، فهتفت في حنق:

- أهو (أدهم) ؟!

قالت المرأة في برود :

- بالضبط .

ثم نهضت من مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها

مرة أخرى ، قائلة :

- لعلك تتساءلين الآن ، لماذا أتيت لزيارتك ؟!

أجابتها (جيهان) ، في سخرية عصبية :

- وهل ستتكرمين بمنحى الجواب ؟!

طال الصمت هذه المرة ، وتصاعدت رائحة التبغ

المحترق أكثر وأكثر ، قبل أن تجيب المرأة ، عبر

جهاز تغيير الأصوات ، في لهجة صارمة :

- أعلم جيدًا أنك مقاتلة شرسة عنيفة ، من العسير

أن تستسلم ، أو تتوقف عن المقاومة ، وما أتيت

لأخبرك به . هو أننى قد اتخذت كل ما يلزم ، لمنعك

من ارتكاب أية حماقات ، حتى أنتهى من عمليتى ..

قيودك سيتم انتزاعها ، فور خروجى من هنا ،

وفراشك مجهز بحيث يمكنك الانتقال منه إلى مقعدك

والعكس ، بأبسط وسيلة ممكنة ، أو بمعنى أدق : لقد

منحتك إقامة فاخرة ، ولكن هذه الإقامة ستتحوّل إلى

قطعة من الجحيم ، عند أوّل محاولة للفرار ، أو أوّل

اعتداء على أحد رجالى .

قالت (جيهان) في سخرية :

- أمن المفترض أن أرتجف ذعرًا ؟!

أجابتها في صرامة :

- بل من المفترض أن تطيعى أوامرى دون

مناقشة .

ثم عادت تميل نحوها ، مستطردة :

- أو مقاومة .

صمتت (جيهان) ، بضع لحظات ، قبل أن تقول :

- سأفكر فى الأمر .

قالت المرأة فى صرامة أشد :

- إياك أن ..

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفعت طرقات على الباب ،

فقالت المرأة فى حدة :

- من الطارق ؟!

أناها صوت مرتجف ، يقول :

- إنه أنا يا سيدتى .

سمعتها (جيهان) تقول فى غضب :

- لقد أمرت بألا يقاطعنى أحد .

قال الرجل ، بنفس الصوت المرتجف :

- ولكنهم يقولون إن الأمر عاجل ، ولا بد لك من

معرفة على الفور .

صمتت المرأة لحظة ، ثم قالت فى صرامة :

- هات مالدك .

أرهفت (جيهان) سمعها ، وتناهى إليها حفيف

ورقة ، تنتقل من يد إلى يد ، أعقبتهما فترة صمت

قصيرة جداً ، قبل أن تهتف السيدة فى دهشة :

- أهذا معقول !؟

قالت (جيهان) فى حذر :

- يبدو أنه خبر غير سار .

مضت فترة صمت أخرى ، قبل أن تقول السيدة

بلهجة واضحة التوتر :

- من الناحية العملية البحتة ، يعد هذا خبراً ساراً

للغاية ، ولكن مشكلته أنه جاء مباغتاً ، على نحو لم

أكن أتوقعه ، وفى توقيت غريب جداً .

لم تدر (جيهان) لماذا اختلج قلبها فى صدرها ،
وهى تسأل :

- أى خبر هذا !؟

صمتت المرأة طويلاً هذه المرة ، قبل أن تقول :

- إنه يخص صديقك (أدهم) ..

وبمنتهى العنف ، انتفض جسد (جيهان) كله ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

كالحجر ..

* * *

« كم تبقى أمامنا ، حتى نبلىغ (كراكس) !؟ »

ألقي (ديلشمسكى) سؤاله فى عصبية ، على قائد

الطائرة ومساعدته ، فأجابه الأول فى ضجر واضح :

- إننا ننطلق إلى الهدف مباشرة يا أدون

(ديلشمسكى) ، وليس بوسعنا زيادة السرعة ،

أو تغيير المسار .. حاول أن تتحلّى بالصبر .

لم يرق الجواب لـ (ديلشمسكى) ، فقال فى

صرامة :

- سألتك عن الوقت المتبقى ، وليس عن فلسفتك

الخاصة فى الحياة .

تبادل الطيار ومساعدته نظرة متوترة ، قبل أن
يجيب الثاني ، فى لهجة رسمية جافة :
- مازالت أمامنا تسع ساعات يا أدون (ديلشمسكى) ،
ولكننا نستطيع التوقف فى (لندن) لبعض الوقت ،
و

قاطعته (ديلشمسكى) فى صرامة :
- لا توقف .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، ثم غمغم الطيار :
- كان مجرد اقتراح .

استدار (ديلشمسكى) عائداً إلى مقعده ، وهو
يقول فى صرامة :
- اعتبره مرفوضاً .

مطّ الطيار شفتيه ، وهزّ رأسه ، مغمغماً :
- تسع ساعات أخرى .. ترى هل سنحتمل ؟!
هزّ مساعدته كتفيه ، وقال :
- وماذا بيدنا سوى هذا ؟!

ثم اختلس نظرة إلى (ديلشمسكى) ، الذى استقرّ
على مقعده ، وأطلق زفرة ملتهبة ، مستطرذا :
- إنه قدرنا .

كان (ديلشمسكى) يشعر بتوتر بالغ فى الواقع ،
مما ضاعف من شعوره ببطء مرور الوقت ، فراح
يتململ فى مقعده ، وينقل ساقيه من موضع إلى آخر ،
وهو يلقي على نفسه ألف سؤال ..

كيف نجا (أدهم) من حادثة (لارناكا) ، على
الرغم من كل ما حدث ؟!

ومن كل إصاباته ؟!

كيف أمكنه أن يتجاوز كل هذا العنف ؟!

كيف ؟!

ثم من تلك المرأة المجهولة ، التى ظهرت فجأة ،
لتنقذه من الموت ؟!

وماذا عن الطائرة ؟!

كان المفترض أن يلتقى بطائرة مؤسسة (أميجو)
فى (لندن) ، فلماذا أتت إليه تلك الطائرة فى
(لارناكا) ؟!

وفى سرعة ، وعلى الرغم من عصبيته وتوتره ،
راح عقله يعيد ترتيب الأمور والأحداث ، على نحو
يصلح لتفسير الموقف كله ..

إنها طائرة مصرية ..

أو حتى لاستبدالها بطائرة أكبر حجمًا ، وأكثر قوة ..

وهذا لن يتم حتمًا في أية مطارات رسمية ..

بل في مطار خاص ..

خاص جدًا ..

وسرى ..

ومرة أخرى ، راح عقله يراجع معلوماته الجغرافية

كلها ..

أماكن عديدة تصلح للهبوط ..

ولاستبدال الطائرة ..

(برست) في (فرنسا) ..

(ليفربول) في (إنجلترا) ..

والساحل الأيرلندي ..

ترى أيهم سيقع عليه اختيار (أدهم) ، بعد

معركته العنيفة في (لارناكا) !؟

أيهم !؟

انطلق رنين هاتف الطائرة ، في تلك اللحظة ،

فالتقطه في حركة سريعة ، وقال في توتر شديد ،

نقله صوته في وضوح :

طائرة وصلت إلى (لارناكا) بقيادة تلك المرأة ..

وهذا يعنى أنه لن يلتقى بتلك الطائرة في (لندن) ..

بل ، ويبدو أن هذا هو المقرر منذ البداية ..

منذ اتصال (أدهم) بمؤسسته في (نيويورك) ..

من الواضح أنه أعد خطته بذكاء تام ، منذ اللحظة

الأولى ..

لقد صنع لهم فخًا ، وتركهم يقودون أنفسهم إليه

كالسذج ..

إنه يعلم حتمًا بأمر تسرب المعلومات من

مؤسسته ..

يعلمه ، ويجيد استغلاله ..

إلى أقصى حد ..

ولكن هذا لم يعد يهم ..

المهم أنه قد نجح في تجاوز الفخ ..

وأنه في طريقه مثله إلى (أمريكا الجنوبية) ..

ولكن الطائرة التي فر بها مع زميلته ، والتي أشار

إليها تقرير عيونته في (لارناكا) ، ليست بالطائرة

القادرة على عبور المحيط ..

إذن فهي ستتوقف حتمًا للتزود بالوقود ..

- (ديلشمسكى) ..

أتاه صوت مديره (زيلمان) ، وهو يقول :

- كيف أنت الآن يا (يارون) ؟! لقد توصلنا إلى

معلومات تهتك للغاية .

سأله في لهفة :

- هل عرفتم ابن (أدهم) ؟!

أجابته (زيلمان) في ارتياح :

- بالطبع .. لقد توصلنا إلى معرفته ، على الرغم

من محاولة (سونيا) لإخفاء هويته عنا .

سأله (ديلشمسكى) في انفعال :

- وماذا ستفعلون الآن ؟!

أجابته (زيلمان) :

- لقد بدأنا في اتخاذ إجراءاتنا بالفعل .. مساعدك

عاد الآن إلى كلية (بن جوريون) .. سيوقف الطفل ،

ويحمله إلينا ..

ثم أطلق ضحكة خبيثة ، قبل أن يتابع :

- وسنتولى نحن رعايته ، بدلاً من والده ووالدته .

قال (ديلشمسكى) في حماس :

- هذا سيمنحنا سلاحاً خطيراً ، ضد (أدهم صبرى) .

أجابته (زيلمان) :

- وضد (سونيا جراهام) نفسها .. هذا سيضعها

تحت سيطرتنا تماماً .

غمغم (ديلشمسكى) :

- لو أنها ما زالت على قيد الحياة :

- قال (زيلمان) في اهتمام :

- الواقع أن

بتر عبارته بغتة ، على نحو أدهش (ديلشمسكى) ،

فتساءل في قلق :

- ماذا هناك يا سيدي ؟!

جاوبه صمت مطبق ، فهتف بمزيد من القلق :

- ماذا هناك ؟!

أتاه صوت (زيلمان) مفعماً بالانفعال ، وهو يجيب :

- إنه خبر جديد ، نقله إلى قسم التنصت ،

المختص بمراقبة كل اتصالات الأقمار الصناعية ،

التي ترد إلى الهواتف المدنية ، لجهاز المخابرات

المصرى .

سأله (ديلشمسكى) ، في توتر :

- أي خبر هذا ؟!

- سيادة المدير .. (أدهم صبرى) لم يحتمل
إصاباته هذه المرة .. لقد مات .. مات متأثراً بجراحه .
واتسعت عينا (ديلشمسكى) ، وهو يقفز من
مقعده ، صارخاً :

- مستحيل !

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

بكل المقاييس .

* * *

[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(ساعة الصفر)

أجابه (زيلمان) بنفس الانفعال :

- إنه خير سيقلب كل الأمور رأساً على عقب .

كرّر (ديلشمسكى) فى عصبية :

- أى خبر هذا يا أدون (زيلمان) !؟

أجاب (زيلمان) بلهجة ظافرة هذه المرة :

- لقد التقطوا محادثة ، أجرتها زميلة (أدهم) ،

من الطائرة التى فرأ بها من (لارناكا) .. لقد

كانت شديدة الانفعال والتوتر ، حتى إنها أجرت

اتصالها عبر الهواتف المدنية العادية غير

المؤمنة ، ودون استخدام أية شفرة .. هل تعلم ماذا

كانت تبلغهم !؟

جفّ حلق (ديلشمسكى) ، وهو يتساءل :

- ماذا !؟

أجابه (زيلمان) بلهجة ملوفا الظفر :

- اسمع بنفسك .

مضت لحظة من الصمت ، بدت لـ (ديلشمسكى)

أشبه بدهر كامل ، قبل أن يأتیه تسجيل لمحادثة

(نادية) ، وهى تبكى فى انفعال شديد ، هاتفة :



د. نبيل فاروق

**رجل
المتحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة
125**

التمن في مصر
وسايعادله بالدولار الأيريكى
فى سنائر الدول العربية والعالم

عملية النيل

- كيف قادت المصادفة (أدهم صبرى) ، الى كشف أخطر عملية إسرائيلية ضد (مصر) ؟
- من تلك السيدة المجهولة ، التي اختلطت (جيهان) ، فور وصولها الى (نيويورك) ؟
- ترى هل ينجح (أدهم) فى إنقاذ قمرنا الصناعى ، أم يربح الإسرائيليون (عملية النيل) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المتحيل) .



العدد القادم : ساعة الصفر